دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلسَّابِعَ عَشَر)

سُورَةُ النِّسَاءِ

مِن أَوَّلِ ٱلسُّورَةِ إِلَى الآيَةِ ﴿٤٢﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين الحُوثِي

بِتَارِيخ: ١٧ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٢٠٠٣/١١/١١ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

هذه السورة المباركة اسمها: سورة النساء (لا توجَد هناك سورة اسمها: سورة الرجال). في هذه السورة كثير من التوجيهات والأوامر المؤكدة المرفقة بالتهديد من الله سبحانه وتعالى لمن يخالف هذه الحدود التي رسمها، ومعظمها تتعلق بالنساء في مجالات متعددة، سواءً في موضوع النكاح، أو موضوع الطلاق، أو موضوع الميراث، أو المعاشرة بين الرجل وزوجته، مرفقة بإعطاء صورة عن واقع الإنسان بشكل عام، وتذكير للرجل بأن الرجل والمرأة هم أصلاً جنس واحد ومن نفس واحدة.

هذه القضية ملموسة في كثير من آيات القرآن الكريم، في موضوع الرجل والمرأة: أنهم عبارة عن نوع واحد من مخلوقات الله، جنس واحد اسمه: الإنسان، اسمه: بنو آدم، قضية مؤكدة أن تترسخ في الذهنية هذه الرؤية في ثقافة الناس في أنفسهم هم: هم عبارة عن مخلوق واحد، جنس واحد بكل ما تعنيه الكلمة.

الله سبحانه وتعالى الذي نزل القرآن يعلم ما سيأتي في المستقبل على أيدي كثير من أعدائه، وبالذات اليهود ماذا سيعملون، وكيف سيقدِّمون القضايا، هو ذكر عن اليهود في (سورة البقرة) توجههم للتفريق، لديهم سياسة التفريق، كان يهمهم من العلوم الهامة في عصر سليمان عليه السلام هو: أن يتعلموا ما يُفرِّقون به بين المرء وزوجه! ذكر عنهم أيضاً: أنهم يُفرِّقون بين الله ورسله وأنهم يُفرِّقون بين رسله.

عندهم سياسة التفريق هذه قائمة إلى الآن وبرزت بشكل كبير في هذا العصر، بما فيها هذه: التركيز لديهم على التفريق فيما بين الرجل والمرأة باعتبار هذا جنساً وعالَماً وحده، وهذا جنساً وعالَماً وحده؛ ليثيروا هذا العالَم على هذا العالَم الآخَر، وليحسسوا هذا العالَم (عالَم المرأة) - كما يحاولون - (أنه مُستضعَف ومُضطهَد وحقوقه يضيعها عالَم الرجل). التفريق هو سياسة لديهم يُفرِّقون بين الإنسان وبين الله، بلغت المسألة حتى مع عملائهم وأصدقائهم من الحكام أن يعملوا على التفريق بينهم وبين شعوبهم، أليست سياسة قائمة إلى الآن؟

لخطورة هذه القضية: أن يترسَّخ لدى الرجل أنه عالَم وحده، ولدى المرأة أنها عالَم وحدها، وما سيترتب على هذا من سلبيات كبيرة ومن حالة صراع فيما بين الرجل والمرأة؛ أكد الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية الوحدةَ القائمة فيما بين الرجل والمرأة: أنهم ﴿مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(النساء:١) وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يخلق آدم أولاً، ثم يخلق منه حواء زوجته، لم تُخلَق بطريقة أخرى مثلاً: أن يخلقها هناك كما خلق آدم من طين من صلصال، فإذا سويتها ونفخت فيها من روحي، لا يوجد، بل خَلق آدم ثم جعل منه زوجته، هذه العبارة توحي أنه ليس فقط جَعل مِن جنسه، بل منه فعلاً؛ لأنه ليس هناك أيُّ معلومات أخرى بأن حواء خُلِقَتْ وحدها بطريقة أخرى أبداً، بل ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوجَهَا﴾(النساء:١) جعل منها زوجها، أي: جعل من هذه النفس - التي هي آدم - زوجَها.

في الفطرة فيما بين بني آدم اللهُ جعل الرجل سكناً للمرأة وجعل المرأة سكناً للرجل، جعلها لباساً للرجل وجعل الرجل لباساً لها: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(البقرة:١٨٧) مهمتهم الأساسية هي كلها مهمة واحدة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:٣٠) أليس الله قال هكذا في القرآن الكريم؟ دورهم، مسؤوليتهم في هذه الأرض واحدة، مهمتهم واحدة، هذا الإنسان - ولهذا جاء دائماً في القرآن الخطاب بلفظ ناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أيها الناس: هي تشمل الرجل والمرأة بعبارة واحدة اسمهم: ناس، كلهم اسمهم: بنو آدم، - مسؤولية واحدة، ومهمة واحدة، الآثار الطيبة أو النتائج السيئة كلها تأتي واحدة، لا تتصور بأن بالإمكان أن يكون الرجل يعيش في ظل وضعية صحيحة إلاّ وتكون المرأة كمثله، أو أن يكون في وضعية مضطهَدة ستكون المرأة كمثله.

في مسيرة الحياة لا تستطيع أن تتصور أنه يمكن أن يكون للرجل وضعية مستقلة عن المرأة أو للمرأة وضعية مستقلة عن الرجل في مسيرة الحياة على الإطلاق، بل كلها مسيرة واحدة، وكلهم كيان واحد، تختلف فقط الأدوار في إطار النهوض بهذه المسؤولية التي هي ملقاة على بني آدم بشكل عام، تختلف الأدوار ليس فقط فيما بين الرجل والمرأة بل فيما بين الرجال أنفسهم وفيما بين النساء أنفسهن، وكلمة ﴿خَلِيفَةً﴾ يظهر من خلالها أنها مسؤولية. إذاً فالدور الرئيسي للإنسان بشقيه أو بجزئية فعلاً المترابطين: الرجل والمرأة هي ماذا؟ مسؤولية، مسؤولية بكل ما تعنيه الكلمة أوسع حتى من مسألة النظام الإداري أو المؤسسات الإدارية لأيِّ دولة من الدول، الحياة بكلها مسؤولية، المهام بكلها تسمى: مسؤوليات.

كانت الغلطة الكبيرة عندما اتجه اليهود إلى المرأة ليحسسوها بأنها تفقد الكثير من حقوقها، وأطلقوا على كل

هذه المسؤوليات اسم (حقوق) الوظيفة العامة، الأعمال الإدارية، كلها سموها حقوقاً، رئيس، أو رئيس وزراء، أو وزير مُعيَّن، أو وكيل وزارة، أو مدير، أو نائب، أو أيُّ شيء من هذه، سموها حقوقاً، وهذه غلطة كبيرة يجب أن نقاومها، هذه لا تسمى: حقوقاً، هذه تسمى: مسؤوليات. والمسؤولية عادة يجب على الرجل والمرأة جميعاً أن يعملوا من أجل أن تكون المسؤوليات في المؤهلين لها، ليست المسؤولية عبارة عن حق فيقال: الرجل له حق كذا، أمَّا المرأة فليس لها حق، ثم يقال للمرأة: يجب عليها أن تناضل من أجل أن تحصل على حقوقها، فتكون شريكة مع الرجل في الإدارة في المنصب الفلاني...إلخ، لا، هذه غلطة من البداية. نقول: لا، هذه هي مسؤوليات، هذه هي مسؤولية يجب أن نبحث داخل الرجال أنفسهم عن المؤهَّل في أيِّ عمل كان.

ولأن القضية كلها مسؤولية، نفس الاستخلاف هو مسؤولية، أن الإنسان حتى فيما يتعلق بممتلكاته الخاصة فيما يتعلق بأسرته متى ما كانت تصرفاته متجاوزة أمكن أن يُحْجَر عليه، هذه القضية معلومة، وفي أموالك الخاصة أنت لا يقال بأن هذا حقي أعمل به ما أريد، لو يجد الناس شخصاً يريد أن يحرق عُملة من العملات الورقية أو يتلف شيئاً من أمواله هكذا لوجب عليهم أن يمنعوه، لوجب على الحاكم أن يَحْجُر عليه، أو وجدوه يسرف في نفقاته بشكل كبير فيُلحق أضراراً بأولاده، وبأسرته، بل يبدو من خلال تعامله أنه تعامل غير طبيعي مع موضوع المال بشكل عام لوجب أن يُحْجَر عليه، أن يوقفوه، أليس هذا يعني أنها مسؤوليات؟

فهم اتجهوا إلى مسألة: التفريق؛ ليستغلوا المرأة، وليقدِّموا أنفسهم وكأنهم همُّهم إقامة القسط والعدل وأن تُعطَى المرأة حقوقها! لاحِظ الطريقة كيف قدَّموها، كان بإمكانهم هم كرجال أن يقوموا بالعملية دون إشعار للمرأة ومحاولة إثارة المرأة نفسها؛ هل إثارة المرأة نفسها في أيِّ مجتمع يمكِّنها من أن تصل لنيل حقوقها – كما يقولون –؟ لا.

عندما يأتي الأمريكيون في أيِّ بلد يقولون بأنهم يريدون المرأة أن تأخذ حقوقها! لم يتجهوا هم إلى الرجل في أيِّ شعب ليضغطوا عليه ليؤدي حقوق المرأة، لكن يتجهون بشكل كبير إلى إثارة المرأة نفسها وهم يعلمون أن هذه المرأة في أيِّ شعب من الشعوب لا تستطيع هي، هل هي تمتلك سلطة؟ هل تمتلك قدرات على أن تنال الحقوق التي قد رسَّخوا في ذهنيتها أنها حقوق؟ هذا لا يحصل، ما الذي يحصل في الأخير؟ ما النتيجة في الأخير؟ هي قضية تعقيد، أن يعقّدوا المرأة على الرجل وأن تكون المرأة قريبة من التأثر بهم؛ لأنها تراهم وكأنهم مهتمون بقضيتها.

لكن تجدهم في نفس الوقت – لأنهم كاذبون في كل ما يدَّعون أنه حقوق – أن نفس الرجال، أليس العالَم، أليس الناس مظلومين بسببهم؟ حقوق الناس بكل ما تعنيه الكلمة حسب ما يقدِّمونها حقوق العرب، حقوق حكومات وحقوق شعوب، كلها هم ينتهكونها، هم يضيعون حقوق الناس، تعاملهم، أليسوا دائماً يقولون: إن من الحقوق التي يعملون لأن ينالها كل إنسان هو الحق في حرية التعبير، الحق في الرأي والرأي الآخر وأشياء من هذه؟ لماذا لا يتعاملون مع من يرفعون شعاراً في المساجد وهم على مدى سنة كاملة يُوجِّهون بسجنهم؟! أليسوا كذابين أن يقولوا إنهم يريدون حقوقاً؟ هم ينتهكون حقوق الكل وليست المرأة ذات قضية لديهم أنهم مهتمون بحقوق مُعيَّنة لديها، إنما المهم هو: التفريق بين الناس مهما أمكن (التجزئة) أيُّ شيء ممكن تجزئته يجزئوه، إذا أمكن تجزئة الأسرة الواحدة يجزئونها، ولأن الأسرة الواحدة تتكون عادة من رجال ونساء سيجزئون الأسرة الواحدة، لو يمكنهم أن يجزئوك أنت إلى جهتين تحارب بعضها البعض لعملوا هذه!

إذا كانوا صادقين في مسألة حقوق، هناك حق أنتم دائماً تفخرون بأنكم تحافظون عليه هو حق التعبير، لماذا لا تتركون للرجال حق أن يعبِّروا عن مشاعرهم، عن رؤاهم، عن مواقفهم، عندما يرددون (شعاراً) في المساجد؟! عندما يسجنونهم أليسوا يشهدون على أنفسهم بأنهم كاذبون في أنهم يريدون أن يعطوا كل ذي حق حقه؟

إذاً فلا الرجل ولا المرأة، ليسوا وراء إعطاء أحد حقه، هم وراء أن يأخذوا حقوق الكل، إنما لا يتمكنون أن يأخذوا حقوق الكل إلاّ بعد سياسة التفريق هذه، وتجزئة المجتمع، وتفريق ما بين الحاكم والشعب، وما بين الرجل والمرأة، التفريق بكل ما تعنيه الكلمة، سياسة أثبتها القرآن الكريم أنها قائمة لديهم منذ أن حكى عنهم أنهم يُفرِّقون بين المرء وزوجه، أي: منذ قرون كثيرة.

إذاً فهذه السورة تُقدِّم لنا كيف يكون منطقنا نحن، وما الذي نرسِّخه نحن في المجتمع في مواجهة ما يُقدَّم، فعلاً لا تواجَه ادعاءاتهم التي منها تسمية هذه الأشياء حقوقاً، لا تواجَه بعبارة أخرى بأن القضية ليست حقوقاً، بل هي مسؤوليات، وأنها ليست مسؤوليات هي لجهة باعتبار أنه جنس مستقل، بل هي مسؤولية في إطار المسؤولية العامة التي الرجل يقوم بدوره والمرأة تقوم بدورها، الرجال متفاوتون في أدوارهم، والنساء متفاوتات في أدوارهن، وهكذا، والنتيجة في الأخير ماذا؟ النهوض بمسؤولية واحدة ونتائج واحدة تعود على الطرفين

في الدنيا والآخرة، تعود على بني آدم بشكل عام بشقيه، بشقي الإنسان: الرجل والمرأة. كذلك في مواجهة ترسيخهم هذه القضية ترسيخ: أن المرأة عالَم وحدها، يجب أن نأخذ درساً مهماً من هذه السورة وغيرها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(النساء:١) نحن نقول: بأن كل مفردة في القرآن الكريم في نفس الوقت الذي تُقدِّم تشريعاً مُعيَّناً هي ترسم منهجاً مُعيَّناً في نفس الوقت ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فعندما يعرف الناس جميعاً أنهم مخلوقون من نفس واحدة كان بإمكان الرجل نفسه أن يتنازل عن نصيبه؛ لأن العرب كان الكثير منهم أو كان الشيء السائد لديهم: ألاّ يعطوا المرأة ميراثاً.

يحسسهم بأن المرأة هي جزء منك وأنتم كلكم من نفس واحدة؛ ولهذا قال بعد: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَو كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾(النساء:٧). فليعرف الإنسان الذي هو ماذا؟ الجزء من هذا الإنسان وهو الرجل أن يعرف أن المرأة هي جزء منه فلا يَعتبِر نفسه وكأنه يتعامل مع طرف آخر مع عالَم آخر، وهنا يعرف أنه عندما يُقدِّم من أمواله، عندما يسمح، عندما يقبل أن يكون هناك جزء من المال يتجه للمرأة فلا يعتقد بأنه مال من عالَم اتجه إلى عالَم آخر، وهنا يُقدِّم حتى نفس المال قضية المال أنه: أموالكم، حتى قضية المال يقدِّمها أمام المجتمع باعتباره مالاً عاماً واحداً، يعني ماذا؟ نتيجته في الأخير، لديك أنت أموال خاصة ولدي أموال خاصة، وكل واحد لديه أموال خاصة، هذه مُقَرَّة، لكن في نفس الوقت يحسس الناس أنه في حركة المال دور المال بشكل عام هو بالشكل الذي يستفيد منه الجميع فهو (أموالكم) جميعاً بهذا الاعتبار.

ولأن القضية هامة يصدِّرها بعبارة: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ اتقوا ربكم، معناه: هذه توجيهات وراءها عقوبات، وراءها وعيد، ليست مجرد مقترحات: إذا أعجبكم أن تأخذوها فلا بأس وإلاّ فمع السلامة، مقترحات كهذه لا تكون لها قيمة. الله سبحانه وتعالى هو مَلِك، هو إله الناس، هو ربهم، هو الذي خلقهم، فكل حدوده، كل تشريعاته، كل توجيهاته وراءها عقوبات في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة.

كثيراً ما يظهر في مقامات مُعيَّنة (في قضايا مُعيَّنة) أنها تبدو بشكل تعطى أهمية كبيرة جداً تلحظ بأن أهميتها، أهمية الالتزام فيها، الوعيد الشديد على عدم الالتزام فيها هو: أنه باعتبار أنها ظلم في نفس الوقت، والظلم قبيح والظلم فظيع والظلم له آثاره السيئة فيما بين الناس، وفي نفس الوقت كثير من هذه القضايا يكون لها أثر سلبي؛ لأن التقصير فيها وعدم الالتزام بها يشكّل في الأخير منفذاً لأعداء الإسلام يدخلون منه ليحاربوا الدِّين، وليحاربوا الأمة لتجزئتها؛ لهذا كانت إساءة كبيرة فعلاً من جهة الناس إلى دينهم وإساءة إلى أنفسهم: أنه عندما لا يكون هناك التزام بمثل هذه التوجيهات العظيمة في مجال التعامل مع بعضهم بعض: الرجال، والنساء؛ شكّلت في الأخير ثغرة للأعداء أن يدخلوا من خلالها لمحاربة الرجل والمرأة!

ومن العجيب عندما ذكر لنا بعض الإخوان بالأمس: أنهم في التعريف بالمجتمع أنه (يتكون من أسرة) قالوا: لا، بل يقال: (يتكون من الآباء والأمهات) لأن كلمة (أسرة) لا تزال تعطي ماذا؟ عنواناً واحداً (الأسرة) لكن لا؛ لأنهم يريدون التجزئة بهذا الشكل تقول: المجتمع يتكون من رجال ونساء، ثم سيقولون: والمرأة هي نصف المجتمع بمعنى ماذا؟ هي عالَم يمثل نصف السكان معنا نحن الرجال في هذه الأرض، لكن الله يُقدِّم المسألة على هذا النحو: أنهم نفس واحدة وخُلِقُوا من نفس واحدة ومسؤولياتهم واحدة، بل تجد في المجالات الهامة في مجالات القرب من الله سبحانه وتعالى في مجالات الأعمال الصالحة لنيل الدرجات العظيمة عند الله فتح الباب بشكل واحد مثلما قرأنا في الآية السابقة في آخر (سورة آل عمران) عندما قال الله فيها: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى﴾ من ذكر أو أنثى ﴿بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ﴾(آل عمران:١٩٥).

فعندما يحصل تقصير في هذه القضايا الهامة التي يكون التقصير فيها في الأخير يشكّل منفذاً لأعداء الإسلام لمحاربة الدِّين فمعنى هذا أن الجريمة تصبح جريمتين: جريمة ظلم الأنثى، وجريمة إعطاء العدو (عدو الإسلام) مادة ليحارب بها الدِّين. وهكذا هي وضعية الناس بشكل عام: الذكر والأنثى في دين الله كله، وفي كتب الله. لكن تجدهم ممن ظلم المرأة - وهم الآن يتشدقون بمسألة أنهم يعملون على أن تحصل المرأة على حقوقها - هم مِن أول من ظلم المرأة اليهود والنصارى هم من أول من ظلم المرأة ورسَّخ نظرة سيئة للمرأة بل اعتبروها شرِّيرة واعتبروها شيطانة بدءاً من حواء، وأن حواء هي التي كانت وراء أن يرتكب آدم الخطيئة، هكذا يقولون!

فهذه القضية ليست أيضاً جديدة في دين الله سبحانه وتعالى في كل مراحل التاريخ، أمَّا بالنسبة لرسالة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهي من قبل أن يكون لهم أيُّ كيان على هذا النحو وفي الوقت الذي كانوا

يظلمون المرأة – فعلاً – يظلمونها، ولا يزالون يظلمونها إلى الآن، منذ ألف وأربعمائة سنة وأكثر، تجد كيف تُقدَّم قضية المرأة في القرآن الكريم بشكل هام جداً، وقضية يرتبط بها تثقيف أيضاً بالشكل الذي يجعل الرجل ينظر إلى المرأة كجزء منه، وينظر إلى المال الذي يتنازل عنه ليعطيها بأنه مال من جزء إلى جزء لكيان واحد.

نجد هنا الفارق الكبير بين أسلوب القرآن الكريم في التعبير عن هذه القضايا وبين الأساليب الأخرى التي يستخدمها مفسرون، محدثون، فقهاء، واعظون، ومعظم ما حصل أو ما ساعد على أن يكون هناك منافذ لأعداء الإسلام هي: عبارات هؤلاء، وليست عبارات القرآن، عبارات القرآن عظيمة جداً، وواسعة جداً، وتراعي مشاعر الناس بشكل عام بني آدم بشكل عام: الذكر والأنثى.

فالمسؤولية الكبيرة هي على الناس وليست على الإسلام، لكن للأسف أن الناس هم الذين لا يلتزمون بتوجيهات الله، ثم يأتي الأعداء فيقولون: (إن دينكم هكذا) ثم يُحمِّل الناسُ أخطاءَهم دينَهم! هذه تُعتبَر جريمة متعددة، أنه عندما نرى وضعيتنا سيئة بسبب ابتعادنا عن دين الله بسبب ابتعادنا عن كتاب الله ثم يقال لنا: (هذا هو الدِّين الذي جعلكم على هذا النحو) فنقول: (صحيح هو الدِّين) فنكفر بالدِّين، نتنكر للدِّين، يكون معناه ماذا؟ نظلم الدِّين مرتين: عندما لا نلتزم به، ثم عندما نحمِّله أخطاءَنا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوجَهَا﴾ منها ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أليست نقطة البداية واحدة: نفس واحدة؟ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ وأنتم تعرفونه إلى درجة أنه يسأل بعضكم بعضاً به: (أنشدك الله كذا) (أسألك بالله كذا كذا) يقولون هكذا في تفسيرها، بمعنى أنكم تعرفون الله إلى هذه الدرجة التي أنتم تسَّاءلون به، يسأل بعضكم بعضاً أيّ مطلب كان، وفي نفس الوقت ﴿وَالأَرْحَامَ﴾(النساء:١) أي: واتقوا الأرحام، اتقوا ظلمها، اتقوا ظلم الأرحام، هذه شبيهة بالآية الأخرى التي قال تعالى فيها: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَانًا﴾(الإسراء:٢٣) ألم يقرن هنا التوجيه بالإحسان إلى الوالدين بماذا؟ بالأمر الحتمي بعبادته؟ هنا أمر الناس أن يتقوه، وأن يتقوا ظلم الأرحام ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء:١) فاتقوه وخافوا أيَّ مخالفة تأتي منكم لِمَا وجهكم إليه فهو رقيب لا ينسى ولا يَغْفُل.

كلمة ﴿الأَرْحَامَ﴾ تشمل النساء والرجال، تشمل الذكر والأنثى، وقد يندفع الكثير من الناس إلى ظلم الأرحام عندما يكون هذا الرحم ضعيفاً إمَّا يتيماً أو امرأة، مثل: يتيم أو امرأة ولا يخاف من ردة الفعل، يندفع كثير إلى ظلمهم، هذه تُعتبَر من أفظع الجرائم ومن أقبحها ومن أدلها على خبث النفسية؛ لأن اليتيم قد يكون أخاك وقد يكون ابناً لأخيك وقد يكون ابن عمك وقد يكون ابن بنتك... وهكذا، سواءً الأيتام من الذكور أو الإناث، فاليتيم هو بحاجة إلى رعاية وليس أن تنطلق أنت لتظلمه وهو في أمسِّ الحاجة إلى العاطفة والرعاية.

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾(النساء:٢) الخبيث من أموالكم بالطيب من أموالهم؛ لأنك ترى أنه لا يوجد عليك رقابة الله قال هناك: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء:١).

﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ تضمون أموالهم إلى أموالكم على طريقة ماذا؟ الأكل، أي: الاحتساب لها، تجعلها وكأنها مالك تتصرف فيها وكأنها مالك ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾(النساء:٢) إثماً، وكلمة ﴿حُوبًا﴾ كأنها تعني: إثماً فظيعاً وإثماً لجرائم دنيئة في نفس الوقت، أي: هي انحطاط كبير؛ لأن الإثم هو يأتي على جرائم كثيرة على الجرائم كلها على المعاصي كلها، لكن المعاصي في واقعها تختلف حتى في تقييم الناس، هناك معاصٍ تُعتبَر ممارستها دناءة وحقارة، ومعاصٍ تُعتبَر جريمة تختلف عن هذه، وهكذا.

إذاً اليتامى بشكل عام، يتامى النساء هي أيضاً مظنة أن تُظلَم عندما يتزوج بها قد يَظلمها؛ لأنها ليس لها ولي يدافع عنها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾(النساء:٣) إلى درجة أن يقول لهم: إذاً لا تتزوج باليتيمة، اليتيمة: هذه الصغيرة، المرأة التي قد تظلمها لا تتزوج بها من البداية امتنع على أساس ألاّ يحصل من جانبك ظلم لها فيما إذا كنتَ تخاف، عندك احتمال ربما؛ لأنك عارف طبيعتك وعارف نفسيتك أنك لو تتزوج بمرأة هي على هذا النحو فقد تظلِمها، فمن البداية لا يجوز لك، من البداية على أساس أن لديك احتمالاً أنك ستظلمها.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ وإن خفتم، ليس معناها: تيقنتم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ فتوجهوا إلى النساء الكبار والنساء اللاتي لسن يتامى وبإمكانك أن تتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ عندما تتزوجون بأكثر من واحدة وأنتم تخافون ألاّ تعدلوا ﴿فَوَاحِدَةً﴾(النساء:٣) فيكفيكم واحدة، أو فالأنسب أو الأفضل، دائماً لا تُنظر الأشياء بماذا؟ على طريقة يجوز أو لا يجوز في غالب التوجيهات، هنا أباح للإنسان أن يتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع، هذه قضية، لكن إذا

خاف أنه قد لا يعدل فيما بين النساء فالأفضل له واحدة.

﴿أَو مَا مَلَكَتْ أَيمَانكُمْ﴾(النساء:٣) مثلما سيأتي بعد: الزواج ﴿مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾(النساء:٢٥) أو (التَسرِّي) يسمونه: التسري عندما ينكح الرجل أَمَتَه التي هي مِلْك له. ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾(النساء:٣) بعضهم يفسر ﴿أَلاَّ تَعُولُوا﴾ بمعنى: ألاّ يحصل لكم عائلة كثيرة ألاّ يحصل لكم أولاد كثيرون! بينما معنى العول هو ماذا؟ أن تميلوا إلى غير الحق إلى غير الصواب. و﴿أَدْنَى﴾ معناه: أقرب، أقرب إلى ﴿أَلاَّ تَعُولُوا﴾. لاحِظ أنه في الوقت الذي أجاز للإنسان أن يتزوج إلى أربع لم يجعلها قضية مفتوحة، بل ربطها بأن يعدلوا، والعدل ذكر أسسه هنا في القرآن سواءً أمام الواحدة أو أمام أكثر من واحدة: المعاشرة بالمعروف ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(النساء:١٩) ذكر أيضاً في آية أخرى: ﴿فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾(النساء:١٢٩) وقد تختلف القضية باختلاف وضعيات الناس.

إذاً القضية هذه نفسها (تعدُّد الزوجات) من القضايا التي يثيرونها، وهي من أغرب القضايا أن يستنكروا تعدُّد الزوجات وطبيعي عندهم تعدُّد القحاب، تعدُّد الخليلات والعشيقات! أليسوا يُعتبَرون أناساً فظيعين؟ أي: لا يتزوج الإنسان بأربع زوجات يحصنهن يقوم بحقوقهن، برعايتهن، لكن طبيعي عندهم أن يكون له ولو عشرين عشيقة.

قضية التعدد هي أكثر صيانة للمرأة نفسها، نلاحِظ مثلاً في قضية الرجال أليس الصراع عندما يحصل صراع أليس ضحاياه يكونون رجالاً في الأغلب؟ في المعارك في الحروب أليس ضحاياها يكونون رجالاً في الأغلب؟ إذاً فالمرأة بدل أن تتحول إلى طريقة أخرى يكون فيها انحطاط لها يكون فيها معصية لله سبحانه وتعالى يكون فيها إساءة إلى أبنائها، يكون أمامها إمكانية أن تتزوج عندما يكون زوجها قد قُتِل في المعركة بإمكانها أن تتزوج بعده، وهم قالوا فعلاً: في كثير من الشعوب بعد الحروب في الشعوب التي لا يسمحون أن يكون هناك تعدد زوجات في الأخير يظهر الفساد الأخلاقي بشكل كبير، بل بعض النساء تصل الحالة بها إلى أنها تضطر إلى أن تبيع عرضها من أجل أن توفر لنفسها حاجتها ولليتامى (أولادها) حاجتهم.

أيضاً يقال بأنه بالنسبة للناس بشكل عام: أن نسبة النساء تكون أكثر، نسبة النساء من حيث العدد يكون أكثر من الرجال، ثم المرأة نفسها عندها قابلية؛ لأن الله عندما يشرع شيئاً يوجد هناك في الفطرة ما يكون ممكناً تقبله، تجد كثيراً من الناس عندهم نساء متعددات في بيت واحد يصبحن في نفس الوقت يألفن بعضهن بعضاً وطبيعي يأكلن معاً ويشربن القهوة معاً ويتحدثن معاً ويسمرن معاً بشكل طبيعي، بل يؤلم المرأة نفسها أن ترى زوجها يحاول وراء امرأة أخرى بطريقة غير شرعية تتألم، لو يتزوج لكان طبيعياً، يُغضبها أكثر لو يبحث عن عشيقة، لكن قضية أن تكون زوجة وإن كان يحصل ألم قد يحصل ألم في البداية ثم في الأخير تألف ويصبح طبيعياً لديها.

أيضاً القضية بالنسبة للناس الرجل هو معرَّض للتلاشي من خلال الحروب من خلال الأشياء الكثيرة فعندما يُسمَح له بأن يتزوج بأكثر من واحدة يمكن أن ينجب كثيراً ينجب رجالاً ونساءً وخاصة بالنسبة للمسلمين، ومع تطور وسائل الحرب أيضاً، أسلحة دمار شامل، أسلحة فتاكة قد تبيد أمة من الأمم بسرعة، معسكرات، أو تبيد قواعد عسكرية، يكون الضحايا من الرجال، أحياناً عندما يكون هناك تركيز على الجيش والجيش عادة يكون من الرجال فستكون الإبادة فيهم بشكل كبير. يذكرون عن بعض الشعوب العربية بعد الحرب مع إسرائيل كان لديهم هذه الفكرة كقضية يشيعونها في المجتمع: واحدة فقط واحدة، وبعد الحرب عندما حصل قتلى كثير وإذا بظاهرة الفساد الأخلاقي منتشرة بشكل كبير في المجتمع.

إذاً أنت تلاحِظ أن بني إسرائيل دائماً كما قال الله عنهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾(النساء:٤٤) لا يركّزون على قضية إلاّ وهي بالشكل الذي يُضِل الناس: تضيعهم؛ لأن المجتمع عندما يحصل فيه قتلى كثير ويوجد نساء وضعيتها قد تفرض عليها أن تتزوج أو مازال عندها رغبة أن تتزوج، فممكن أن تتزوج؛ فبقي المجتمع أخلاقه، قيَمه، وضعيته سليمة، لكن إذا لم يكن هناك زواج على هذا النحو فمن قبل أن تحصل كوارث يحصل فساد أخلاقي؛ لأن نسبة النساء أكثر من الرجال، وفي نفس الوقت يحصل ضعف في المجتمع، يحصل خلخلة للقيم وللإيمان ولزكاء النفوس؛ فيصبح المجتمع قابلاً لأن يُضرَب على يد الأعداء عندما يصبح مجتمعاً مخلخلاً وسيئاً وفاسداً بعيداً عن الله سبحانه وتعالى، والفساد الأخلاقي من أخطر القضايا انتشاراً في المجتمع ومن أسرعها بعد الحروب في المجتمعات. يذكرون ذلك عن الشعوب في أوروبا، بل عن شعوب عربية بعد الحرب مع إسرائيل. إذاً ذكر هنا قضية المال: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾(النساء:٢) وذكر فيما يتعلق بالنكاح.

ذكر أيضاً موضوع المهر: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾(النساء:٤) عبارة عن عطية، ليس عبارة عن ثمن، ليس عبارة عن قيمة، بل عبارة عن عطية للمرأة، وهذا أمر إلهي عام للناس جميعاً، وهذا أيضاً مما يفرطون فيه في

بعض الشعوب بما فيها اليمن، في معظم المناطق يوجَد تفريط في موضوع المهر، الرجل ينظر إلى بنته أو أخته وكأنها عبارة عن سلعة، بعضهم الذين لا يفهمون دين الله، ولا يتوجهون بتوجيه الله في الأخير يزايد ليرى من سيدفع أكثر فيها فيزوجها به ويستلم المهر ويتصرف به! والله يقول: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ عطية، ويُقدَّم بسهولة لهن، لا يكون فيه أخذ ورد ومتابعة وتعب وجفاء حتى يخرج المهر من عندك.

ولأهمية هذه أمر الرسول نفسه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أمره أن يؤتي نساءه أجورهن، أي: مهورهن. إذاً فهذا أمر أساسي: الإيتاء أولاً، الإيتاء ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيءٍ مِنْهُ﴾ بعد أن تكون قد آتيتها ﴿طِبْنَ﴾ أي: طابت نفوسهن عن أن تتنازل عن بعضه، عن شيء منه ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾(النساء:٤) عن طيب نفس لكن بعد الإيتاء؛ لأن نفس الإنسان قبل الإيتاء وبعده تختلف، عندما لا يكون قد وصل إلى يدها شيء وتأخذه عليها وفي الأخير تحاول أن تتسامح منها ستقول: (مسموح) قد صارت آيسة! لكن بعد أن يصل المال إلى يدها وبدون أن تطلبها شيئاً فيما لو كانت هي راغبة سواءً بالنسبة لقريب من أقاربها أو بالنسبة لزوجها ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ لكن قدَّم في البداية: ﴿آتُوا﴾ ألم يُقدِّم هذه في البداية؟ والإيتاء ما معناه؟ أليس معناه إيصال المال؟ عندما يقول: آتوا الزكاة: إعطاءها ﴿آتُوا﴾ إيصال المال إليها، إيصال المهر لها.

هذا أيضاً ما زال من تكريم المرأة بالذات؛ لأن المرأة نفسها أليست بحاجة إلى أن تتزوج كحاجة الرجل إلى الزواج؟ نفس الحاجة واحدة، ونفس الرغبات واحدة حتى فيما يتعلق بالأولاد، لكن هنا الرجل أيضاً يعطي للمرأة مهراً، عطية.

﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا * وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾(النساء:٥، ٦) السفهاء بشكل عام من أولادكم أو يتامى آخرين ما قد بلغوا سن الرشد أو من مواليكم. ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ أموالهم هم أموال أقارب لك، لك يد عليهم باعتبار وضعيتهم تصرفاتهم تصرفات سفهاء تصرفات طيش تصرفات من لا يُقدِّر للمال قيمته ولا يحسن التصرف فيه.

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾ على أساس لا يعتقد بأنك تحاول أن تأكل أمواله إنما تحافظ على ماله وتصون ماله؛ لأنه أوجب على القريب أن يصون مال الآخر، السفيه سواءً كان يتيماً من أقاربه أو حتى ولو قد صار كبيراً وتصرفاته ليست تصرفات صحيحة، بعض الإخوة ولو مثلاً قد صار كبيراً لكن قد أصبح يَعتبِر نفسه عالة عليك، وفي نفس الوقت لديه أموال، يجب أن تتعامل في أمواله بهذه الطريقة: لا تطلقها له فيلعب بها بهذا الشكل: تصرفات غير صحيحة، وفي نفس الوقت لا يبدو وكأنك تستغل وضعيته لتأكل أمواله ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا﴾ أعطه كفايته منها، وقل له قولاً معروفاً: (إنما فقط حرصاً عليك، ومن أجلك، وأنت قد يجي لك أولاد ويكبرون وأنت قد بعتَ حقك، وضيعته في أشياء...) يحصل حتى على بعض الكبار، بعض الإخوة الكبار يكونون بهذا الشكل: تكون تصرفاته غير صحيحة وغير طبيعية ولديه زوجة وينجب أولاداً ويبيع أمواله ويلعب بها في "تخازين"[1] وفي أشياء من هذه أو رحلات لا يحسب حساب أولاده! هنا تحاول عندما يكون لك يد عليه أن تحول بينه وبين تصرفات من هذا النوع مع قول معروف.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾(النساء:٦) اختبروهم حتى تعرفوا إذا كانت تصرفاتهم تصرفات سفهاء أو تصرفات أناس راشدين، بحيث يمكن أن تطلق له أمواله وتصرفاته فيها تصرفات صحيحة. ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾(النساء:٦) يبدو أن هذه كانت ظاهرة قائمة ليست قيداً ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ يبدو أنها كانت ظاهرة وظاهرة ممقوتة جداً وكأنك تبادر إلى أن تُسَابِق لتأكل أمواله وتلعب بـ(وثائقه) وأشياء من هذه قبل أن يكبر، وهذه تُعتبَر من أسوأ الأشياء التي يعملها الإنسان من المعاصي، مثلاً قد يموت أخوه ومعه أولاد صغار، بعضهم يكونون جشعين ونفوساً قاسية – نعوذ بالله – وقلوب قاسية، في الأخير يحاول أن يتجه إلى (الوثائق) يخبئ بعضها ويحاول أن يزوِّر مبايع مُعيَّنة ويحاول أن يُزوِّر القسمة وأشياء من هذه، يكبرون و(وثائقهم) مختلفة، وقد يكون أبوهم ربما كان يعمل أكثر منه وقد يكون له – مثلاً – إسهام في دَخْل وجمع الأموال أكثر من هذا الأخ الذي لا يزال حياً؛ لهذا قال هناك في الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾(النساء:٢) ﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ تحاول التغيير في (الوثائق) وقد سبقت قسمة بينك وبين أخيك ثم تبدل "البصاير والتعايون"[2] وتجعل لك (المكان)[3] الذي دَخَل في قسم أخيك

---

(١) تخازين: من اللهجة العامية، وتعني: جلسات تناول القات في اليمن.

(٢) البَصَايِر: من اللهجة العامية، مفردها بصيرة، وهي وثيقة بيع أو وصية أو غيرها. التَّعَايُون: من اللهجة العامية، مفردها تَعْيُون، وهو وثيقة تعيِّن نصيب الشخص من الميراث بعد تقسيمه بين الوَرَثة.

(٣) المكان: المقصود بها في هذا السياق: المزرعة أو العقار الثمين.

وهي مكان جيدة وتكتب هذه بدلها، الخبيث بالطيب بشكل عام بأيِّ طريقة كان.

لاحِظ هنا التعبير في وحدة أثر المال بشكل عام للمجتمع بشكل عام: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ مع أن التوجيه يتناول الملكية الخاصة، أي: أموالهم المملوكة لهم. المال بشكل عام يجب أن يكون محط رعاية من المجتمع بشكل عام داخل الأسرة الواحدة وداخل المجتمع بكله، مع بقاء الملكية الخاصة، لكن يكون هناك نصيحة من البعض لبعض عندما يرى أناسٌ - في قرية - أحداً من الناس هكذا: ينطلق في بيع أمواله بطريقة ليس مضطراً إلى بيعها فيبيعها ومعه أولاد قد يكون بعضهم ما زالوا صغاراً فيمكنهم أن يبلِّغوا الحاكم ليَحْجُر عليه، ويمكن أن يعملوا "تدريك"[1] للمشترين. أو يحصل له مرض نفسي فترة مُعيَّنة وقد صار يبيع، كذلك يعملون (حَجْراً عليه، وتدريكاً) للمشترين أنفسهم.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾(النساء:٦) من كان غنياً بماله الخاص فليستعفف: يَعفّ عن أن يأكل شيئاً من أموال اليتامى المقدار المعروف، أمَّا المقدار غير المعروف فقد اتضح تحريمه. ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا﴾ ويقوم بهذه المسؤولية: صيانة أموال اليتيم، تنمية أمواله، الحفاظ عليها ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾(النساء:٦) قضية (المعروف) قضية معروفة عند الناس في المجتمعات.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾(النساء:٦) أيضاً هذه قضية أخرى أحياناً قد يأتي بعض الأيتام - مثلاً - يكبر ويأتي آخرون من الذين ليس فيهم خير فيقولون له: (كان مع أبيك، وكان، وكان) حتى لو كان عمه قد قام برعايته وصيانة أمواله على أرقى مستوى، فيحاولون أن يُدْخِلوا في نفسه (كان، وكان، وكان) يُعقّدونه؛ ليخلقوا بينه عداوة هو وأقاربه هو وعمه أو أخوه الكبير؛ فليكن هناك إشهاد: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ في سن الرُّشْد، وأن يكون هناك ابتلاء في قرب مرحلة أن يبلغوا سن النكاح ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾(النساء:٦) قد أصبح بحاجة إلى إن يتزوج، وأن يتزوج معناه أنه سيكوِّن أسرة ويحتاج إلى أمواله هو يقوم بها ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ على الطرفين كلهم.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ وهذا عبارة عن إعلان، أشبه شيء بالإعلان، أي: قرار معلن حتى في صيغته أو في عبارات الآية أشبه شيء بإعلان ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ ولم يكتفِ بهذه، ألم يكن من الناحية اللغوية يكفي؟ لكن فيها زيادة تأكيد ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَو كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾(النساء:٧) هذا إعلان واضح إعلان مؤكد إعلان مفصَّل، حُكْم لم يعد وراءه إلاّ التهديد الذي سيأتي بعد آية المواريث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾(النساء:١٣) يأتي بهذا بعد أن قرر: أن على الرجل أن يعرف بأنه هو والمرأة خُلقوا من نفس واحدة وأساسهم نفس واحدة.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِنْهُ﴾(النساء:٨) قد يكون هذا - مثلاً - أولي قربى لكن قد يكونون بعيدين عن دائرة من لهم أنصبة من القرابة واليتامى من غير من لهم مواريث، معنى هذه حتى الآخرين إذا حضروا القسمة فليُعطَوا ﴿فَارْزُقُوهُم مِنْهُ﴾ أيَّ شيء لو لم يُعطِه من نفس عين ما نسميه الأراضي مثلاً أو بيوت، أيَّ شيء من المنقولات مثلاً ﴿فَارْزُقُوهُم مِنْهُ﴾ لم يحدد نوعاً مُعيَّناً أن يُعطَوا منه ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَولاً مَعْرُوفًا﴾(النساء:٨).

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَولاً سَدِيدًا﴾(النساء:٩) فيجب أن ترعى الآخرين من الأيتام؛ لأنك أنت أليس هذا شيء يؤلمك فيما لو يتوفاك الله ووراءك ذرية ضعفاء أن الشيء الذي يهمك أنت في حالة احتضارك في حالة حضور الموت هو: وضعية أولادك؟ أليس البعض يوصي بأولاده؟ يقول ما زالوا صغاراً وما زالوا كذا، يوصي بهم. إذاً فيجب أن تتعامل مع أولاد الآخرين بهذه الروحية نفسها، مع أولاد أخيك، مع أولاد ابن عمك، بل مع اليتامى بشكل عام، في آيات أخرى يذكر اليتامى بشكل عام أن يكونوا محط رعاية عند الجميع، الجميع يرعونهم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيهِمْ﴾ لأن الشيء الطبيعي أن يخافوا عليهم ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَولاً سَدِيدًا﴾ تَقدَّم هناك بالنسبة لأولي القربى واليتامى بالنسبة لليتامى ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَولاً مَعْرُوفًا﴾(النساء:٥) ألم يقل: قولاً معروفاً؟ لاحِظ هنا الرعاية فيما يتعلق بالحفاظ على أموالهم وصيانتها وبالكلمة الطيبة أيضاً؛ لأن اليتيم تكون نفسه منكسرة يحتاج إلى الكلمة الطيبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ نعوذ بالله ﴿وَسَيَصْلَونَ سَعِيرًا﴾(النساء:١٠).

---

(١) التدريك: من اللهجة العامية، ويعني: التحذير للمشترين مصحوباً بالشهود.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَو دَينٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء:١١) هذه وصية تفصيلية ذكر في (سورة البقرة) وصية إجمالية: ﴿كُتِبَ عَلَيكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ إِن تَرَكَ خَيرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَينِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة:١٨٠). لاحِظ هنا تأتي العبارة بنفس الصيغة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ أليست نفس الوصية الإلهية؟ هناك وصية بالشكل العام وهنا وصية مُبيَّنة.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ هذه العبارة عبارة دقيقة، لاحِظ لم تأتِ العبارة بلفظ: للمرأة كنصف ما للرجل، لم تأتِ بهذا الشكل: للمرأة كنصف ما للرجل، هذه العبارة لا تزال أنسب: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ وسيأتي في آيات أخرى يُبيِّن أن هناك التزامات بالنسبة للذكر، من أول الالتزامات أمام الأنثى: أنه هو الذي يعطيها المهر، هو الذي يقوم بالإنفاق عليها، هو الذي يوفر لها السكن والطعام والدواء والفراش والأثاث، أليس هذا هو الشيء الذي يتكفل به الرجل؟ إضافة إلى التزامات أخرى فيما يتعلق بقضايا خارج محيط بيته كثيرة تكون مرتبطة بالرجل أكثر من الأنثى. إضافة إلى أنها جاءت بهذه العبارة هي أرقى من كلمة: رجل وامرأة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ لماذا؟ لأنها لا تزال توحي بماذا؟ بالكيان الواحد والجنس الواحد، أي: الإنسان هو عبارة عن كيان مؤلَّف من ذكر وأنثى.

ثم لاحِظ كيف كان الأكثر ممن ذكرهم في آية المواريث هنا: نساء (الأنثى) ولهذا فعلاً سُمِّيت: (سورة النساء) هذا يوحي بماذا؟ يوحي بتركيز كبير على أن يبتعد الذكر عن ظلم المرأة، وأن يعرف أن أصلهم من نفس واحدة وأن ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾(النساء:٧).

﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ أليست هؤلاء كلهن نساء؟ ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ أبويه: أمه وأبوه ﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَو دَينٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء:١١) سبحانه وتعالى.

لاحِظ هنا التأكيد على مسألة: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَو دَينٍ﴾(النساء:١١) تكررت في كل تفصيل المواريث: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَو دَينٍ﴾، ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَو دَينٍ﴾(النساء:١٢) عندما تتكرر معناه: أن القضية هامة جداً، ألاّ تُقسَم التركة على الورثة إلاّ من بعد إخراج الوصية والدَّين، من بعد إخراج الوصية والدَّين، فلا يحصل حتى ما قد أصبح مألوفاً عند الكثير من الناس: تقسيم الدَّين على الورثة، توزيعه على الورثة في الأخير يقتسمونه (أنت عليك كذا، وفلان عليه كذا، والآخر عليه كذا) قد تحصل مماطلة من بعض الورثة يكون في الأخير ضياع لحقوق آخرين، أن يكونوا مثلاً "تجمَّلوا في هذا الإنسان"[1] وأقرضوه ثم تضيع حقوقهم عن طريق بعض الورثة. لتبقى حقوق الآخرين ثابتة وتعطى أولوية وتُقدَّم على قسمتها على الوارثين ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَو دَينٍ﴾، ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَو دَينٍ﴾ وهكذا.

ومراعاة هذه الأشياء تُعتبَر قضية هامة، أي: محاولة المخالفة فيها وعلى أساس أن كل واحد سوف يلتزم يسلِّم، وأن همَّك وأنت تقسم بأنهم سيتكفلون بالدَّين، وكل واحد يتفق مع نفسه! معنى هذا لا؛ لأنه قد يحصل من ورائها ضياع لحقوق الآخرين، وتبقى ذمة الميت متحمِّلة للدَّين.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَمْ يَكُن لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَو دَينٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَو دَينٍ﴾ أليست هذه ثالث كلمة؟ ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَو أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَو دَينٍ﴾(النساء:١٢) يكررها أربع مرات، معنى هذا: أنه يجب على الناس أن يلتزموا فعلاً، أن يعطوا الدَّين والوصية الأولوية على تقسيم الميراث، وألاّ يُوزّع الدَّين على الورثة وكل واحد سيتحمل نصيبه على الإطلاق.

هذه القضية أيضاً هي مما يحاول أن يثيرها أعداء الإسلام أنه: لماذا لم يكن للمرأة إلاّ كنصف ما للرجل؟ حَسَناً، هذه من ناحية العدل والقسط على أساس تركيبة المجتمع وعلى أساس دور الرجل والمرأة هذا هو

---

(١) تَجَمَّلُوا فيه: من اللهجة العامية، وتعني: قدَّموا إليه معروفاً.

العدل وهذا هو القسط؛ والعدل والقسط يُنظر له ليس على أساس أنهم قد جعلوهم جنساً، وجنساً، جعلوهم عالَماً، وعالَماً. القسط والعدل بين الناس يكون على أساس رؤية عامة، وإعطاء اعتبارات متعددة فيما يتعلق بدور الذكر ودور الأنثى في الحياة، أنه ماذا؟ يُعتبَر هذا قسطاً يُعتبَر عدلاً.

إذاً هنا قائمة بالنسبة للورثة، ألم يذكر قائمة بأصناف الورثة؟ لا أدري إذا كان لا يزال هناك آية أخرى تتحدث عن وارثين آخرين لا أذكر، هذه هي الآية التي تضمنت أصناف الوارثين هل يوجد آية أخرى؟ في آخر (سورة النساء) في الكلالة حول الكلالة. ثم ترى من بعد كم حصل من اختلاف من وراء هذه الآية، مما وراء من ذُكِروا! كيف يقول الإنسان؟ هل يقول الإنسان بأنه كان هناك تقصير في التبيين؟! ولا يزال هناك أطراف أخرى مستحقة أنصبة ثابتة ومفروضة ولم يذكرها؟ وعندما لم يذكرها هل تركها للاختلافات وتركها للرؤى المتعددة؟! هذا لا يصح أن نقول: إنه بقي أيضاً! لا يزال هناك أناس آخرون لم يذكرهم فتكون القضية متروكة للرؤى والاجتهادات؟ ليست بهذا الشكل، بل يظهر هنا أنه يُوجَد من المال نفسه لم يذكر بعضه هنا.

جاءت اختلافات كثيرة حول: الجد والجدة، والعصبات، وإعطاء أولوية للعصبات، وحول الإسقاط، والحَجْب، والعَول، والأشياء هذه، اختلاف كثير حصل في موضوع المواريث، موضوع المواريث من أكثر ما حصل فيه اختلاف.

إذاً بالتأكيد أن المسألة ليس معناها: أن هناك تقصيراً، وأنه بقي آخرون وترك موضوعهم للاجتهادات والرؤى والقياسات وأشياء من هذه أبداً.

الآية واضحة، وإنما الموضوع بشكل عام لا يزال للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) دَخْل فيه ثم تصرفاته في نفس الموضوع، تصرفاته هو؛ ولهذا في بعض الروايات عن الإمام علي عليه السلام أنه قال بالنسبة للجد: (إنما رَضَخ له رَضيخة)[1] أو أعطاه عطية، أثناء الاختلافات في موضوع الجد وأشياء من هذه، معناه: الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومن يقوم مقامه موضوع ما وراء هذه متروك لهم.

ولأنها قضية قد يكون بعضها - مثلاً - قد لا يكون له إيجابية أن تُعطى - مثل ما يسمى - حكماً ثابتاً باستمرار، يكون هناك لا يزال لمن يقوم مقام الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مجال فيه، في توزيع بقية المال داخل محيط المتوفى داخل محيطه من بعد هؤلاء.

ولهذا تصبح المسألة في الأخير: أن يكون هناك مذاهب متعددة ومختلفة فيما يتعلق بتوزيع المال؛ وهذه إشكالية. الاثنا عشرية عندهم فقه آخر فيما يتعلق بالمواريث، اختلاف أيضاً فيما بين السُّنية وفيما بين الزيدية وما بين السُّنية والاثنا عشرية اختلاف في موضوع الوارثين بشكل كبير! لو تُركت المسألة على أصلها معنى هذا لا يحصل اختلاف، هم يختلفون في المسألة كأحكام فقهية لا يكون الاختلاف على أساس اعتبارات.

لأنه لاحِظ داخل دائرة القرابة بالنسبة للمجتمعات والالتزامات داخل الأسرة الواحدة قد تكون مختلفة في بعض الأزمنة مختلفة في بعض المجتمعات يكون هناك مجال؛ لأن الموضوع الذي يحكم المسألة موضوع ماذا؟ القسط من بداية الآيات هناك يقول: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾(آل عمران:١٨) قائماً بالقسط، أحياناً قد يكون إعطاء مسألة مُعيَّنة حكماً ثابتاً باستمرار وهي تراها مما لم يُقدَّم لها حكم، لم يُقدَّم لها حكم على نفس الطريقة من منظار فقهي دون إعطاء اعتبارات أخرى واقعية باعتبار وضعية المجتمع باعتبار تركيبة المجتمع أشياء كثيرة، في الأخير يكون أحياناً متنافياً مع القسط يظهر متنافياً مع القسط.

موضوع الكلالة أيضاً: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً**﴾(النساء:١٢) يقولون: الكلالة: الذي ليس له والد ولا ولد، أي: منقطع بالنسبة لقرابته القريبة قرابته من داخل أسرته من داخل عصبته؛ ولهذا لا يعدون الإخوة من الأم وكأنهم ماذا؟ يتنافون مع إطلاق اسم الكلالة عليهم، أليس الإخوة من الأم يعتبرون قرابة؟ باعتبار القرابة يُعتبَرون قرابة؛ لأن الإخوة من الأم قد يكونون على رجل آخر من أسرة أخرى؛ لذلك يقول: لا والد له ولا ولد.

﴿**وَلَهُ أَخٌ أَو أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ**﴾ هؤلاء الإخوة من الأم ﴿**فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَو دَينٍ غَيرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾(النساء:١٢) إذاً هنا ألم يبقَ ثلثان في المال، على أساس كلالة؟

﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**﴾(النساء:١٣) هذا يعود إلى الكل من بداية ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾(النساء:١) كل هذه التوجيهات وكل هذه الأحكام تُعتبَر حدوداً لا تُتجاوز ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

(١) رَضَخَ له رَضيخة: أعطاه عَطِيَّة قليلة.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(النساء:١٣) حَسَناً، هل يوجد رأي لرسوله هنا فيما ذكر؟ التحديد ألم يأتِ من جهة الله: يوصيكم الله؟ وفي آخر الآية يذكر رسوله، والحدود هنا تتناول هذا الموضوع، أليس هذا يعني: أنه بقي لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) دور في باقي دائرة الورثة وبقية المال وأشياء من هذه؟ على أساس القسط، والقسط تكون اعتباراته أحياناً متعددة تكون الوضعيات مختلفة، تكون المجتمعات مختلفة، أشياء كثيرة.

أحياناً قد تجد - مثلاً - رجلاً ومعه أموال ومعه ابنته تقوم بشؤونه ابنته أو قريبة له أخرى ومعه هناك ابن عم لا يبالي به ولا يحسب له حساباً ومنتظر متى سيموت، ثم مات وقد صار هذا مستعجلاً على أن يَحْضُر؛ لأنه قد صار محسوباً من الورثة (عصبة) قد حَسَبها الفقهاء منذ زمن على أساس أنه قد ذَكَر (قربى) نعم هو يذكر القربى أو الأقربين لكن هناك مجال مُعيَّن لمن يعرف القسط لمن يعرف العدل، لا أن تحسم هكذا من أول شيء، وفي الأخير لا تدري وتلك التي كانت قائمة بشؤونه قد يكون لها في الأكثر - وأيضاً تُظلم - كمثل ذلك الذي كان لا يبالي به ولا يحسب له حساباً ولا يهتم به ومستعجل على موته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ألم يذكر رسوله؟ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لأنه معلوم أن كل ما يبدو أنه لا يَزال هناك مجال؛ لأنه من فضول الفقهاء أن يبحث (قال هناك ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾) إذاً لا يزال هناك قرابة لم يذكرهم يحاول أن يقدِّمهم منهم حتى يحسم الموضوع من أول يوم بالنسبة لهم! مال هناك لم يذكر، نفس الشيء يحاول أن يحسم الموضوع فيه من أول يوم! ويختلفون فيما بينهم على أساس القياسات كل واحد يقيس على اعتبارات مُعيَّنة باعتبار القرب.

ظهر اختلاف في الأمة؛ لأن هذه القضية ليست متروكة للناس بهذا الشكل، إن القضية هكذا: الله سبحانه وتعالى ورسوله وهذا كتابه ورسوله، من بعد رسوله القائم مقام رسوله، ليست قضية دعاوى، بل الوارث فعلاً لكتاب الله الذي يعرف كيف يقيم القسط، والقسط موضوع له علاقة بالمال، أي: اعتباراته متعددة، اعتباراته متنوعة، مختلفة؛ ولهذا أحياناً ترى بأنه يُعطى أشخاص شيئاً من المال وهو لا يستحق أن تعطيه ولا ريالاً واحداً، فعلاً بعضهم لا يستحق أن يُعطَى شيئاً منه وليس مذكوراً هنا إنما أدخله الفقهاء هم منذ زمن على أساس حسم الموضوع، وفي الأخير ترى أنه لا يوجد قسط في الموضوع، لا يظهر فيه قسط عندما يقال: القسط، لأن القسط هو العنوان العام، هناك آيات محكمات هي أساس لإعطاء نظرة قسط، وأساس لأن يبقى القرآن يسع هذه الحياة كلها على أساس القسط.

أليس الله هو الذي يخلق الأقارب؟ أليس من الممكن أن يعمل قائمة هنا مثلما عملوها؟ أي: الذي أضافوه تقريباً مثل هذه القائمة أو أكثر، الذي أضافوه هم من أسماء أخرى وحسموها نهائياً! معنى حدود: أنه أثبت حداً هذه قضية ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾(النساء:٧) وذكر قائمة وهو يعلم، أليس الله سبحانه وتعالى يعلم، أم يقولون: (إنه ما قرأ الفرائض)؟! هو الذي خلق بقية الناس الذين هم في الأخير يُدخلونهم بأحكام مبتوتة من البداية واختلفوا فيهم.

لهذا الإمام علي (عليه السلام) استنكر في موضوع الفتوى عندما قال بعبارة: (أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه). هناك لاحِظ مَن ذكر في هذا الموضوع؟ مَن ذكرهم بالتحديد؟ أليسوا أقرب القرابة؟ أقرب القرابة الذين عادةً لديهم عاطفة بالنسبة للمتوفى، هذه قضية ثابتة، أي: من ذكر هنا؟ ذكر أبناء، وذكر أبوين، وذكر الزوجين، الآباء والأبناء والأزواج والإخوة.

أطراف أخرى أحياناً قد لا يكون عندها هذه العاطفة، بل قد يحاول بأيِّ طريقة أن تُتوفى، ألم تحصل هذه في بني إسرائيل؟ هؤلاء الذين لهم أنصبة مفروضة واضحة، من البعيد بالنسبة لأحد منهم أن يحاول أن ماذا؟ أن يدبِّر ذلك وخاصة إذا كان يرى أن معه أموالاً كثيرة يحاول أن "يُدبِّره"[1] يموت بتسميم أو بأيِّ طريقة، أليست مستبعدة داخل هذه القائمة؟ مستبعدة؛ لأن هذه قد تشكّل خطورة وقد تكون داخل مثلما تقول عندما يكون هناك أشخاص لديهم أموال كثيرة معك أموال كثيرة وليس معك ورثة من هذا النوع مثلاً ومعك ابن عم أو معك ورثة لكن لا يزال بالشكل الذي وفق الترتيبات الفقهية لا يزال ابن العم هناك يُعتبَر وارثاً، أحياناً أليس قد يدفعه بأن يُدبِّر حالك؟ وقد حصلت هذه في بني إسرائيل.

لكن إذا كانت القضية عائمة هو لا يدري هل سيُقضى له بشيء أو لا يُقضَى له بشيء هكذا، موكولة إلى القائم مقام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ليس القائم هنا مقام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أي: سلطة

(١) يُدَبِّره: أي: يتخلص منه.

تنفيذية يأتي أيُّ واحد يدَّعي أنه قائم مقامه، لا، بل من يعرف كتاب الله، من يعرف عباد الله وكتابه ويعرف مقاصد هذا التشريع. فهو لا يدري هل سيُقضَى له بشيء أو لا يُقضَى له بشيء. عندما يكون رأس مالك خمسين مليون دولار وابن عمك أو أحد هناك بعيد وليس لديه شيء، أليس قد يحاول بأيِّ طريقة - بل قد تحصل هذه - من أجل أن تموت بسرعة عندما يرى أنه عندما تموت قد يحصل على خمسة وعشرين مليون دولار، أليست هذه حالة خطيرة؟ لكن عندما تكون القضية عائمة فلا يدري هل قد يُقضى له أو لا يُقضى له بشيء، لا تشكّل هذه خطورة قد يحصل له وقد لا يحصل له.

ترى أحياناً أناساً هم لا يهتمون بذلك الشخص يمرض ويلاقي مشاكل كبيرة لا يهتم به بعضهم ولا يسافر به، مستعجل يريد أن يموت، وعندما يموت يَظهَرون ويقدِّمون لك قائمة فتوى قد أصبحوا "قصيين على كل شيء، يقاصون حتى على الفِراش، حتى على الأشياء التي لا ينبغي أن يأخذها أحد نهائياً، يقاصي عليها"[1]!

لأجل لا يحصل إهمال لأن القائمة التي ذكرت هنا من النوعية التي عادة لا يحصل من جانبهم إهمال، لا يحصل من جانبهم ماذا؟ يعجبه إذا قد أصبحتَ مريضاً عسى أن تموت وقد صار يحسب كم سيلحقه من بعدك، وأشياء من هذه، عند هذه القائمة لا تحصل، فالله سبحانه وتعالى هو حكيم، وهو رحيم بعباده، هل يمكن أن يفرض في مالك فرضاً ثابتاً باستمرار - على حسب ما قدَّمه الفقهاء - فيصبح هذا بالشكل الذي يشكّل خطورة عليك أنت وعلى وارثين آخرين؟ إذا رأى أنه إذا لم يعد لديك ولد إنما فقط بنت فسيحصل على كم ملايين، فكأن ذلك الولد "بين عيونه"[2] وبقاؤك يصبح وكأن يوماً من حياتك خسارة عليه، هل تحصل هذه في تشريع الله؟ هذه بعيدة.

غالباً عاطفة الأخوَّة، الأبوَّة، الزوجية، البنوَّة لا يحصل معها تفكير من هذا، وأنه عادة المحيط الأقرب للإنسان وهم هؤلاء يفرض لهم من البداية فرضاً ثابتاً، هم عادة محيط به وفي نفس الوقت ليس هناك مظنة - والله هو يعلم بالناس - أن يحصل بالنسبة لهذه الدائرة حتى لا يصبح مالك شراً عليك، أليس هو هناك يهدد آخرين لماذا لا يعطون حقوقاً لآخرين؟ هل يمكن أن يجعل مالك نفسه بالشكل الذي يهدد حياتك بكلها، أو يهدد حياة ابنك الوحيد؟ عندما يكون لديك ابن وبنت، ولديك أحد هناك من ضمن القرابة لكن بعيد - لأن الله يعلم بعباده ويعلم بجشع الكثير منهم في المال - فهو يرى بأنه ما دام ذلك الولد فإنه لن يحصل على شيء، هذه حالة خطيرة، أليست خطيرة؟ أنه ما دام الولد فهو ساقط فلن يحصل على شيء، لكن إذا لم يكن هناك إلاّ بنت فسيحصل على نصيب، فيكون النصيب الذي قد جعلوه مفروضاً وثابتاً له قد أصبح يشكّل خطورة عليك وعلى ابنك.

الله يقول في المال: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾(النساء:٥) ما معنى قِيَماً؟ تقوم به حياتكم، أليست حياتكم تقوم به؟ هل يمكن أن يجعل المال ويفرض فيه فروضاً تكون بالشكل الذي يهدد حياتك؟ لأنه حكيم ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾(النساء:٥) لأن المال قوام حياة الإنسان يحتاج إليه، أليس الإنسان يحتاج إلى أن يعيش؟ يحتاج، وكل حاجاته مرتبطة بأمواله وهي قوام حياته.

الفقهاء يَظهَرون في الأخير مشطِّبين، أي: كما نقول: "تشطيبات"[3] ويجمِّعون وكأنه نسي أشياء، وترك أشياء، تركها للآخرين، للمشرِّعين، كل واحد مِن عنده، واختلافات فيما بينهم، وأشياء رهيبة.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ هنا ﴿يُدْخِلْهُ﴾ أفضل من قراءة: (ندخله) الموضع هذا بالذات قراءة: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ أنسب فعلاً وهي أيضاً قراءة ثابتة ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(النساء:١٣، ١٤) إذاً قد لا يبعد أن يُعتبَر من التعدي لحدود الله: أن ينطلق الآخرون هم ويقدِّمون إضافات، أليسوا هم هنا حصل من جانبهم تعدٍّ وتجاوزات، يقدِّمون إضافات ثابتة باستمرار، وفي كل الوضعيات، ولكل المجتمعات، ولكل القرون، فقد تكون من التعدي لحدود الله، ألم يسمِّها حدوداً؟ حددها، أليست الإضافات من عند هذا وإضافات من عند ذلك معناها وكأنه ماذا؟ يضيف إليها أشياء يُعتبَر تجاوزاً؟ لو أضاف أحد في الصلاة ركعة واحدة ألا يُعتبَر أنه تعدى حدود الله؟

(١) قَصِيِّين: من اللهجة العامية، مفردها قَصي، وتعني: الحريص الشحيح.

(٢) بَين عيونه: من اللهجة العامية، وتعني: أنه يتضايق وينزعج عندما يراه.

(٣) التشطيب: من العامية في لغة أهل العمارة والبناء، وتشطيب الداريعني: استكمال العمل في الدار من بعد البناء.

مثلاً عندما تكون أربع ركعات، جعلها أربع ركعات، يأتي أحد يضيف ركعة أو ركعتين يفرضها على الناس أليس يُعتبَر متعدياً لحدوده؟

ولأنها قضية هامة، هذه القضايا كلها ما ذكره من البداية هامة باعتبار قد يحصل فيها ظلم، وهامة قد يأتي من خلال التقصير فيها منفذ للأعداء في محاربة الدِّين، وتشويه الدِّين، يأتي بهذا الوعيد الشديد، إضافة إلى الوعد بالجنة لمن يلتزم بحدود الله.

إذاً آية المواريث هذه لا تسمى أنها ناسخة لآية: ﴿كُتِبَ عَلَيكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ إِن تَرَكَ خَيرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَينِ وَالأَقْرَبِينَ﴾(البقرة:١٨٠) لا تُعتبَر ناسخة، القرآن هو كتاب للحياة ولوضعيات متعددة ووضعيات لأمم مختلفة، تلاحِظ بأن وضعية العرب نفوسهم ألم تجتز مرحلة – أي: بعد بعثة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) –مرحلة لم يتناول فيها موضوع توزيع المال؟ مرحلة (كم من السنين) لم يتناول فيها موضوع توزيع المال – لا يعني أنه مقر لتلك الحالة القائمة لديهم – ثم يأتي بطريقة يقربهم إلى ماذا؟ إلى أن تكون نفوسهم تقبل أن يعطوا آخرين من المال، ثم يأتي ويحدد أنصبة مُعيَّنة، أليست هذه تراها مراحل؟ مرحلة لم يتناول فيها الموضوع نهائياً، هذه (سورة النساء) من السور المدنية هم يعتبرونها سورة مدنية، مرحلة من بعد بعثة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ونزول القرآن لم يتناول فيها موضوع الميراث، ثم تناول على ذلك النحو، ثم تناول على هذا النحو.

إذاً هذا التشريع ألم يقم على مراعاة وضعية مُعيَّنة لمجتمع واحد؟ وعندما يقول الله بأن هذا الدِّين للعالمين، وترى عالمين آخرين، ترى مجتمعات أخرى لها وضعيات أخرى تركيبتها الاجتماعية أخرى، التزاماتها أخرى، وتأتي من أول يوم لا تعطي أيَّ مراعاة للموضوع في المسيرة العملية، المسيرة العملية ليست قضية فتاوى، المسيرة العملية معنى هذا ماذا؟ أن القرآن وكأنه لا يصلح للعالمين، تشكّل عوائق أنت.

هو للعالمين وعندما يقول الله بأنه للعالمين ودينه للناس جميعاً، أنه أيضاً لا يجعله بالشكل الذي يكون فيه عوائق من البداية تحول دون أن يتقبل مجتمع من المجتمعات لهذا الدِّين، فالذي راعى وضعية عرب لا يزال قائماً وقابلاً لأن تُراعى في المسيرة العملية وضعية أمم أخرى، حتى تنتقل بها إلى النقلة الأخيرة وهي ماذا؟ أشياء ثابتة في محيط مُعيَّن، وأشياء تبقى عائمة.

إذاً فهذا التشريع هو بالشكل الذي يقوم على المراعاة لوضعية مُعيَّنة لكل المجتمعات، كيف يتعامل معها لأنه هكذا رأيناه تعامل مع العرب مع مجتمع صغير من البداية هكذا حتى أوصلهم إلى هذه النقلة.

الآية الأخرى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيهِنَّ أَرْبَعَةً مِنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوتُ أَو يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾(النساء:١٥، ١٦) وهذه قالوا: منسوخة! عند البعض وإلاّ فالبعض يقول: إنها ليست منسوخة هي لا تزال تعني جريمة مُعيَّنة بخلاف ما يحصل من الرجل مع المرأة، هذه تعني شيئاً آخر، وقالوا بأنه بعيد أن يقول: ﴿أَو يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ ويكون السبيل هو الجلد أو الرجم؛ لأن هذا نفسه لا يسمى سبيلاً عندما قالوا: (قد جعل الله لهن سبيلاً...) في حديث: ((فالْمُحْصَن كذا، والبِكْر كذا)). أي: جلد أو رجم، لا، هذه تعني: جريمة أخرى وتلك جريمة ثانية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا...﴾(النور:٢) إلى آخر الآية.

﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء:١٧) هنا التأكيد على: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من قريب؛ لأن المعصية يكون لها أثر سيئ في حياة الناس في حياة الإنسان هو وفي حياة المجتمع، المعصية يكون لها أثر سيئ، فليكن الإنسان سريع التوبة، بمعنى أن يكون عازماً على ألاّ يعود ليمارس هذه المعصية التي ارتكبها كيفما كانت سواءً كانت تتعلق بمواريث أو أشياء أخرى هذا معناه توجيه: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾(النساء:١٧، ١٨) لهذا؛ لأن المعصية لا يزال لها أثر سيئ بالنسبة لك (نفسيتك) وبالنسبة للمجتمع، ليست فقط قضية فيما بينك وبين الله، المطلوب من البداية بأنك تُقلع عن هذه المعصية وترجع إلى الله وتتوب إليه تحافظ على طهارة نفسك وتنسف أثر المعصية التي لها آثار كبيرة في المجتمع. ﴿وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(النساء:١٨)

أيضاً في موضوع النساء من جديد فيما يبدو أنه كان سائداً في ذلك العصر، قالوا: كان الرجل إذا مات وهو متزوج بنساء كثير يأتي من يرث من ورثته يرث امرأة أبيه ميراثاً هكذا كأيِّ شيء من أثاث البيت، أو كأيِّ شيء من الموروثات الأخرى غصباً عنها. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾(النساء:١٩) كَرهاً: ليست قيداً، يبدو ليست قيداً؛ لأن بعض الأشياء هي تذكر حالة سائدة، أو حالة تكون غالبة في المجتمع فتكون تشنيعاً للقضية لا تُقدَّم بشكل قيد، فتكون الآية في هذا الموضوع: أن معناه الذي كان يحصل عند العرب أنه كان يرث زوجة أبيه أو ربما زوجة أحد من أقاربه هكذا مع الميراث.

﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ هذا توجيه عام بالنسبة لميراث الزوجة، لا يجوز أن يرث المرأة كأيِّ شيء من الموروثات الأخرى، والعَضْل معناه: المنع ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيرًا كَثِيرًا﴾(النساء:١٩) فالآية تتناول موضوع المرأة بشكل عام في أنه لا تكونوا على هذا النحو: ﴿تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ فيما يتعلق أيضاً بقضية المرأة كزوجة؛ لأن العَضْل هنا كأنه مَنْعها عن شيء حتى يضطرها إلى أن يذهب ﴿بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ إمَّا أن يكون المهر مثلاً عندما يطلقها ثم عندما يقترب أجل انتهاء العدة يتراجعها، أليس هنا كأنه يوقفها عن أن تسرَّح سراحاً جميلاً، حتى يضطرها إلى أن تفتدي نفسها؟ العَضْل يعتبرونه بشكل عام هو المنع، فيأتي أحياناً أن تمنع قريبتك ألاّ تتزوج بزوجها الأول الذي طلقها وانتهت العدة، ألاّ ترجع له أو أن ترجع إليه في العدة.

﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ يفسرون الفاحشة هنا بمعنى ماذا؟ النشوز (الله أعلم) المهم في هذه الآية أنه لا يحصل ظلم للمرأة حتى تضطر إلى أن تفتدي نفسها بشيء من مالها مثلاً قد يكون هو مهرها، قد يكون شيئاً آخر مما قد آتاها الرجل. ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيرًا كَثِيرًا﴾(النساء:١٩) لا أدري من أين جاء تسمية النشوز بفاحشة، أن يسمَّى فاحشة؛ لأنه حتى عند العرب قضية الفاحشة معناها: المنكر الممقوت الذي يُعتبَر بشعاً مثلما كانوا يسمون (الزنى) يُعتبَر عندهم فاحشة، الزنى فاحشة؛ لأنه ذكر في آية أخرى موضوع النشوز: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبِيلاً﴾(النساء:٣٤).

الله أعلم بمعنى هذه الآية هل يمكن أن يقال: الفاحشة بأن المرأة فيما لو ارتكبت جريمة فهنا لا يُبقيها الرجل وليأخذ ما قد أعطاها (مهرها) يطلقها ولو كان الطلاق بأن يأخذ المهر عوضاً عليه؟ وقد يكون في هذا نوع من العقوبة للمرأة، وبالنسبة للرجل لا يكون خسر المرأة وما قدَّمه في قضية من عندها هي، وقضية فظيعة تستدعي أن يُسرِّحها ولو بدون شيء. كلمة ﴿فَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ تأتي في مقامات كثيرة وتبدو أنها جريمة الزنى؛ لأنهم يروون قصة المرأة التي جاءت إلى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وقالت إنها قد كرهت زوجها عندما قالت: إنها تكره الكفر في الإسلام، فقال: هل أنتِ مستعدة أن تردي عليه حديقته؟ قالت: مستعدة. لم يعتبرها أنها ارتكبت فاحشة وهي هنا نشزت، أليس هذا يُعتبَر نشوزاً؟ على حسب اصطلاحات الفقهاء يُعتبَر نشوزاً، لم يُعتبَر أنها ارتكبت فاحشة، هي قالت: إنها لم تعد تريده نهائياً، قالت: (لا أنا ولا ثابت) لا تستطيع أن يجمعهما فراش واحد.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوجٍ مَكَانَ زَوجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيئًا﴾ القضية لديك - فقط - أنك تريد أن تستبدلها فتحاول أن تطلقها ليأتي لك مرجوع من أجل أن تتزوج بفلانة، هذه الطريقة غير مقبولة ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوجٍ مَكَانَ زَوجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾(النساء:٢٠) لو كنتَ قد أعطيتَها قنطاراً من الذهب، قالوا: إن القنطار يُطلَق على قنطار من الذهب في الغالب.

﴿وَكَيفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾(النساء:٢١) متى يحصل هذا الميثاق المغلّظ؟ هل أنه يأتي عهد فيما بين الرجل والمرأة؟ لا، لكن يبدو نفس العقد القائم فيما بين الرجل والمرأة (عقد النكاح) أنه عبارة عن ميثاق أن يكون هناك معاشرة بالمعروف، وتعامل بالمعروف؛ لأن قضية المعروف تراها أثناء المعاشرة، ومع الطلاق، وبعد الطلاق أيضاً.

وقد يكون عملياً أن تكون المرأة كما قال الله هنا: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ تسلِّم نفسها لزوجها، تبذل نفسها لزوجها، أليس هذا يعني: لم يعد يصح؟ فكأنه عملياً كما لو كان ميثاقاً؛ لأنه لاحِظْ أنه في آيات أخرى أنه اعتبره ميثاقاً من جانب المؤمنين عندما تكون وضعيتهم أنهم قد قَبِلوا حتى لو لم يقولوا: سمعنا وأطعنا، هل أحد يتذكر أن يقول: سمعنا وأطعنا حتى يكون هناك ميثاق عليه من الله ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم

﴿بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(المائدة:٧)؟ واقعك، قبولك لهذا الشيء قد صار يُعتبَر موثقاً، لا يوجد أشياء أخرى غير العقد، هل هناك في النكاح إجراءات غير العقد؟ لا يوجد شيء، لكن العقد بما يترتب عليه هو كميثاق، أن تكون المرأة نفس بذلها لنفسها لزوجها أشبه شيء بالميثاق؛ ولهذا قال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾(النساء:٢١) تبقى معك كم سنين على هذا النحو: وقد أفضى بعضكم إلى بعض ثم تقول: أريد أن أطلقها، قد أصبحت تريد أن تستبدلها (هاتوا آخر ريال دفعتُه)! هنا: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾(النساء:٢٠).

ولاحِظ على الرغم من فظاعة هذه القضية هي تبدو شبه سائدة عند أكثر الناس، يُطلِّق لكن يريد حقه (يدفعون لي حقي وأنا أطلِّق) أليس بعضهم يقول هكذا؟ وقد مكثت معه كم سنين، وقد أصبح له أولاد عليها، وقد أفضى بعضهم إلى بعض وأخذن منهم ميثاقاً غليظاً، وقد تكون هي المظلومة، ولا يزال يقول: (يدفعون لي حقي وأنا أطلِّق) وأيضاً لا يزال يَعتبِر نفسه بهذا منصفاً، وأنه غير متعنت، ومنصف وحَقّاني! (أعطوني حقي وسأطلِّق، ومثلما دخلْنا نَخْرُج)!

لهذا عندما يكون الناس في مجتمع لا يرضون أبداً؛ لأن بعض الناس يقبل أيَّ وعظ إلاّ وعظاً يتنازل فيه عن فلوس (مال) فلا يقبلون هذه، عِظْ بكل ما تريد إلاّ قضية مال، كثير من الناس. من واجب الرجل هو - لا بأس إذا كان الولي نفسه أخذ المبلغ فاسترجعْه منه ولو تريد أن "تخلس ظهره"[1] - لكن المرأة ينبغي أن تعطيها مبلغاً من عندك عند الطلاق على الأقل، إذا كنتَ لم تعطِها مبلغاً وهي ما زالت في بيتك، فعندما تطلقها أعطها مبلغاً، لا تكون أنت لا تعطيها شيئاً ووليُّها أخَذ المهر، فهنا عندما يكون الذي يأخذ منك هو الولي نفسه لا يسلمه للمرأة فاسترجعْه منه، لكن أنت يجب أن تسلِّم للمرأة: تعطيها مهراً، وإذا كانت القضية على هذا النحو: المرأة هي التي يُسلَّم إليها المهر، فلو كان ﴿قِنطَارًا﴾ - كما قال الله - فلا ينبغي لأحد أن يأخذه أبداً.

أي: ليس معنى هذا أن التعامل على هذا الأساس مع الأولياء الذين يأخذون المهور ويأكلونها، في الأخير يقول: لا تسترجع منه شيئاً؛ لأنهم لا يسلِّمونها للنساء، في الغالب هم لا يعطون النساء شيئاً، يمكن لأحد - مثلاً - أن يأخذ المبلغ من الولي الذي قد أصبح معروفاً أنه ممَّن لا يعطون النساء، أما أن يكون معروفاً أن الولي يستلمه ويعطيه للمرأة أو يشتري به ذهباً لها كمهر لها، فيُعتبَر أنه قد صار لها.

لاحِظ كيف قال في الآية: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ آتيتم إحداهن معناه للمرأة بأن يُسلَّم للمرأة ﴿فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾(النساء:٢٠) إذا كان الولي لا يعطي المرأة شيئاً فاسترجعْه منه، لكن وأعطِه المرأة أنت، حتى عندما تطلقها، إذا كنت لم تعطها وهي في بيتك. فليعطها من عنده، عندما يعرف بأن الولي لا يعطيها فالأنسب أن يعطي لها مهراً، أي: أن الإنسان يعطيها ولو كانت لا تزال في بيته، أمَّا أن تنتهي المسألة على هذا النحو: الولي هو الذي أكل المهر لم يعطها شيئاً، والزوج لم يعطها شيئاً نهائياً، معناه أنه طلقها ولم يحصل لها شيء، بعد هذا: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

﴿وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الماضي بالنسبة لِمَا كانوا عليه في الجاهلية، أي: ما كان منكم في الماضي وإلاّ فقالوا فعلاً: إن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قام بإجراءات مُعيَّنة عمليات فصل بالنسبة للنساء ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾(النساء:٢٢).

﴿حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ وهذه قائمة جديدة بالنسبة للمحرَّمات في النكاح ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِن نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ هذه ابنة زوجتك من رجل آخر تسمى: ربيبة ﴿اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِن نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾(النساء:٢٣) هذه زوجة الابن ﴿مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ قالوا: استثناء لِمَا كان معروفاً عند العرب كانوا يسمون الموالي[2] أبناء موضوع التبني: فلان ابن فلان وهو ليس ابنه إنما فقط غلامه، يعتبرونه وكأنه ابن ﴿أَبْنَائِكُمُ﴾ الحقيقيين، عندما يطلِّق ابنك امرأته - ابنك الذي من صلبك - فلا يجوز لك أن تتزوجها.

تأمل، قضية المحرَّمات هنا تشبه تماماً قضية المال، مراعاة اعتبارات مُعيَّنة، لو أنه يجوز للإنسان مثلاً أن يتزوج بامرأة ابنه بعدما يطلقها هنا قد يحصل حالات تُعتبَر شاقة، مثلاً أن المرأة تعود من جديد إلى نفس البيت مع الأب وقد كانت مع الابن هذه تُعتبَر حالة غير طبيعية.

---

(١) تُخَلِّس ظَهْرَه: من اللهجة العامية، وتعني هنا: تخسيره.

(٢) الْمَوَالي: هم الذين كانوا عبيداً مملوكين ثم أُعْتِقُوا.

﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الأختان عندما تكونان ضِرَّتَين فإنها قضية فيها صعوبة عليهما، تؤدي إلى حالة من قطيعة الرحم فيما بينهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(النساء:٢٣) فيما قد وقع منكم في الماضي عندما يقول: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الماضي قبل نزول هذه الآيات.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المزوَّجات من النساء ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾(النساء:٢٤) يقولون: إلاّ ما يحصل على سبيل السبي من نساء كافرين، أو نساء كافرين يلحقن بالمؤمنين مثلما ذكر في آيات من (سورة الممتحنة) يجوز لهم أن يتزوجوا بهن.

﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيكُمْ﴾ أي: هذا الذي كتبه الله ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ لاحِظ عبارة: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ ألم يحصل حتى بعد هذه القائمة عملية مُلحَقات، لَحِق لَحِق؟ أيضاً حصل بعدها مَلاَحِق[1] كثيرة! ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ إذا كان لا يزال هناك تساؤلات معناه: القضية على المسيرة الدِّينية مثلما قلنا سابقاً: تكون القضية كلها على المسيرة الدِّينية في دين الله. ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾(النساء:٢٤) ولأن في بعض التعبيرات داخل هذه الآية يعتبرونها تشمل المعني بها مثل كلمة (أم) قد تكون لأكثر من درجة مثلاً أمهاتكم في ماذا؟ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أي: تشمل بنصها الجدات يقال لهن أمهات، لا يقال بأنه لم يذكر الجدات هنا، ﴿بَنَاتُكُمْ﴾ تشمل بنات الابن وبنات البنت، تشملها لغةً، أي: عند العرب في لغتهم.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُمْ فِيمَا تَرَاضَيتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَولاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُم مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾(النساء:٢٤،٢٥) هذه آية واحدة كلها من أولها إلى آخرها آية واحدة لأن بعض الطوائف يقفون هنا عند: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ والسياق هو سياق النكاح؛ لأنه -لاحِظ- فيما بعد عندما قال: ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَولاً أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: الحرائر ﴿فَمِن مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُم مِن فَتَيَاتِكُمُ﴾ من الإماء، تتزوج بأمَة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ألم يأتِ بكلمة ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مثلما قال سابقاً: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؟ هذا لا يزال تأكيداً فيما يتعلق بموضوع المهر، مثلما قال سابقاً: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾(النساء:٢٠، ٢١) وقبلها يقول: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾(النساء:٤) أي: تعرف بأنك عندما تعطيها المهر فافهم أنك تستمتع بها ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾(النساء:٢٤) أي: مهورهن، والكلام كله في موضوع النكاح، والنكاح السائد المعروف عند المسلمين هو هذا النكاح الذي نسميه نكاحاً ثابتاً.

لو أن قضية المتعة قضية ثابتة لكانت مشتهرة في المجتمع في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومن بعده، لكانت مشتهرة في المجتمع فيما بين المسلمين، ولَمَا كانت فقط في حالة واحدة كما يذكرون، الاثنا عشرية يقولون: بأنه قد ثبت تشريعها، ولم يثبت نسخها! قلنا: إن عملية التشريع أحياناً تكون مقيدة في وقتها، ولولا أنها مقيدة بظرف مُعيَّن ووضعية مُعيَّنة في وقتها ولو أنها تشريع ثابت وتشريع مطلق لكانت سائدة في المجتمع، ولَمَا حصلت العبارات على هذا النحو: ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَولاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: الحرائر المؤمنات، فلا مانع ﴿مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أليس معناه النكاح الثابت؟ الذي يسمى: النكاح الدائم.

لاحِظ كيف جاء العدول كتخفيف؛ لأنه فيما بعد يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾(النساء:٢٨) فيما إذا لم يستطع أن يتزوج من الحرائر؛ لأنها قضية هي الأولى، لأن الله يقول في القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(الإسراء:٩) فعندما تتزوج بأمَة هي مملوكة لشخص آخر هنا يقوم عليك أحكام مُعيَّنة بالنسبة لأولادك، فلا بأس أن تعدل إلى الأمَة، ألم يكن سيذكر العدول إلى الاستمتاع المؤقت؟ الاستمتاع المؤقت الذي يمكن أن يكون مع حرائر أخريات، أليس من الممكن أن يكون مع حرائر استمتاع مؤقت على ما يقولون (المتعة) عند الاثنا عشرية؟ لم يعدل إلى موضوع استمتاع مؤقت الذي كان يمكن أن يكون حاصلاً مع حرائر، لا ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَولاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُم مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أن يذكر كلمة (أجر) معناه المهر،

(١) مُلْحَقَات، مَلاَحِق: إضافات.

أي: القضية هنا واضحة في النكاح تماماً من عند: ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إذا كانوا يعتبرون هذه، تلك هي نفسها في سياق المحرمات نكاحهن، أليس الموضوع هنا موضوع نكاح؟ هنا قال: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ لأن الإنسان إذا كان لديه أمَة له ولم يستطع أن يتزوج بامرأة من الحرائر فيمكن له التسرِّي - كما يسمونه - أي: يمكن أن يطأها، وإذا أنجب أولاداً منها تعتبَر مثلما يقولون: أم ولد، لم يعد جائزاً له أن يبيعها، وتتحرر بعدما يموت تصبح حُرَّة (أعتقها وَلَدُها) كما يقولون.

هذه القضية مقدَّمة على أساس أنه ليس لديك أمَة، وليس لديك استطاعة أن تتزوج من الحرائر امرأة حرة، فيمكن أن تتزوج بأمَة، أي: الأمَة هنا لشخص آخر عندما يقول: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ هم لا يقولون في المتعة أن تكون بإذن أهلهن، مع الحرائر هم لا يقولون هم إن المتعة تكون بإذن أهلها، فيما بينك وبينها، اتفق أنت وإياها على وقت مُعيَّن، شهراً، شهرين، أسبوعاً كم ما أمكن، وكل شيء بحقه: فالشهر حقه أكثر من أسبوع! هنا يقول: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ الإماء نفوسهن وهي أمَة ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

﴿مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ المطلوب من النكاح هو: الإحصان أن يتحصن الرجل وتتحصن المرأة ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾(النساء:٢٥) أخِلاَّء، أو على ما يسميها الغربيون: عشيق أو عشيقة على ما قال هنا: ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ قالوا: كانت هذه حاصلة عند العرب في بعض القبائل أو في بعض القرى كان يحصل أن يكون مع المرأة - أيضاً - عشيق آخر. إذاً فالزواجُ المطلوب منه، أي: من أهدافه ومن مقاصده: التحصين، أي: إعفافها عن الآخرين، فهنا تلاحِظ أنه كان حركة الإماء في المجتمع كانت تختلف عن حركة الحرائر، فقد يكون بعض الإماء أقرب إلى أن تكون - مثلاً - معرَّضة لآخرين، هنا تلاحِظ في موضوع الأمَة أيضاً، كما تلاحِظ بالنسبة للحرة أن تكون محصنة عفيفة، يلاحِظ في موضوع الأمَة أيضاً أن تكون عفيفة ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾.

هل المتعة يمكن أن يقال فيها إحصان على هذا النحو، أم أنها فتح الشهية لآخرين؟ أي: أنت تستمتع بها شهراً وقد صارت منتظرة من بعد الشهر لزبون جديد وهكذا، وأنت كذلك منتظر لزبونة جديدة! هنا يقول: ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾، ﴿مُحْصِنِينَ﴾ ألم يقل هكذا: محصنين؟ إحصان، أي: أن تكون أنت تحصنها وهي تتحصن بك ماذا يعني التحصين؟ أي: إعفافها عن الآخرين: هذا زوجها، لا يحصل هذا في نفسية المرأة وعند الرجل إلاّ من خلال الزواج الثابت، هل بالإمكان أن تقول: محصنين مع عملية اتفاق أسبوع أو أسبوعين بينك وبينها؟ هل أنت تسمى مُحصِناً؟ لا، هي منتظرة لشخص آخر بعد الأسبوعين، وعندما تبقى طُهْراً واحداً - كما يقولون - يسمونها (استبراء) بحيضة واحدة.

ثم الشيء الواضح بأنها لم تكن شائعة في المجتمع، لو أن النكاح قُدِّم بشقيه: النكاح الثابت على هذا النحو، ونكاح آخر، نكاح المتعة - كما يقولون - لكان سائداً في مجتمع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفي المجتمع العربي.

[سأل أحد الحاضرين فقال: أليسوا يقولون: إن المتعة حصلت في غزوة من الغزوات؟

فأجاب السيد حسين: يقولون: (إن المسلمين عملوها في غزوة مُعيَّنة مع سبي)! قد يكون مثلاً على طريقة أنه قسمهم؛ لأن كلمة (استمتعوا) ليست بمعنى: إعطاء حكم شرعي، الذي يسمونه حكماً شرعياً، أي: تقديم نكاح جديد، قد يكون وزع السبيات بينهم. ألاَ يمكن تقسيم السبي؟].

الخلاصة في الموضوع ليس في هذه الآية دليل على ما يسمى: نكاح المتعة عند (الاثنا عشرية) إنما محاولة تمحُّل أو تعسُّف، أن يستوحوا منها، من قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ﴾ فما استمتعتم. إن كلمة (متعة) كلمة عربية تعني: الاستمتاع بالشيء، حتى الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(آل عمران:١٨٥) كم كلمة متعة! وفي الحج متعة، أليس فيه متعة؟ ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾(البقرة:١٩٦).

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَينَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ هذا بالنسبة لمن؟ ﴿مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الإماء ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَينَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾(النساء:٢٥) أن يبقى بغير زوجة فاضطر إلى أن يتزوج بأمَة هي لشخص آخر قد تكون في نفس الوقت ما زالت تقوم بأعمال مع مالكها، أي: عند الضرورة، ويجب عند الضرورة أيضاً أن يراعي هذه: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾.

﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾(النساء:٢٥) إذاً أين موقع المتعة هنا؟ أليس هنا يوجِّه إلى حالة تُعتبَر حالة اضطرارية والصبر عنها أفضل؟ لو كانت المتعة ممكنة لَمَا كان هنا صبر، إذا لم يستطع أن يتزوج بامرأة زواجاً ثابتاً ذهب

يتمتع بأيِّ امرأة، هنا يوجد: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾ العدول عن نكاح الحرائر لكونك لا تستطيع ﴿طَولاً﴾ أي: غنى، لست متمكناً، فتعدل إلى هذه، ولكن الصبر عن هذه عن أن تتزوج بأمَة ﴿خَيرٌ لَكُمْ﴾ ألم يكن هنا موقع المتعة لو كان هناك أساس لها لكان هنا موقعها؟ لأن معناه ليس هناك مكان لكلمة ﴿وَأَن تَصْبِرُوا﴾ المتعة يعتبرونها أشبه شيء برخصة.

فعندما يكون مثلاً امرأة لا تتمكن أن تتزوج بآخر فيجيزون أن تتمتع وتبقى على أولادها! أليست هذه قضية، أي: ليس هناك في الموضوع ما يسمى صبراً، هنا قدَّم في عملية النكاح ما يوحي بأنه نكاح ثابت الذي يحصل فيه إحصان، ثم إذا لم يستطع أن يتزوج بامرأة حرة، ليس المعنى امرأة صاحبة رأس مال أو مقام اجتماعي كبير أو أشياء من هذه، بل حرة من الحرائر، فليعدل إلى أمَة ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾ ألم يكن هذا محل أن يقول: فليتمتعوا بأخريات بأجر؟ كان هنا مكانها ولم يكن هنا توجيه، وتوجيه نكاح أيضاً أليس توجيه نكاح ثابت مع الإماء؟ عندما يقول: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا﴾ أي: لا تتزوجون على هذه الطريقة ﴿خَيرٌ لَكُمْ﴾ ولو أن تصوموا.

فهم يأخذون جزءاً من الآية: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾(النساء:٢٤) على اعتبار أنهم يأخذون كلمة (متعة) وكأنها تعني مصطلحاً شرعياً! هذه مفردة لغوية تراها مع الزوجات، وتراها مع متاع الدنيا، تراها في العمرة، تراها في كل شيء يسمى استمتاعاً، وليست عبارة عن مصطلح شرعي لحكم مُعيَّن، ليست عبارة عن مصطلح، بل عبارة عن حالة، يذكر الدنيا متاع والعمرة يتمتع بها إلى الحج. يأخذون ذلك المقطع فقط وهي آية واحدة، قال هناك: ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ﴾ آية واحدة ليست (العشارة)[1] توقف الآية وقد صارت هذه إجراءات أخرى جديدة وتلك إجراءات سابقة جديدة.

﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(النساء:٢٥، ٢٦) السُّنة التي شرَّعها لمن قبلنا وعلى أحسن طريقة، النكاح هو مما تناول الله تشريعه في كل الأمم الماضية، كما في الأمم الماضية، هل تلحظ هناك متعة؟ لا نسمع أن هناك متعة، ليست معروفة هذه المتعة، متعة النساء ليست معروفة أعتقد في الرسالات السابقة كلها.

يوجد هنا تذكير للرجل بأن الذي يعطيه كمهر لها يعرف بأنه يتمتع بها، أي: أنه لم يرمِ بفلوسه من النافذة على ما يقولون، يعرف أن ما فرض على الرجل أن يقدمه مهراً للمرأة هناك سماه في البداية: ﴿نِحلَةً﴾ والقرآن يراعي مشاعر الكل مشاعر الذكر والأنثى، فأن يُقدَّم المهر نحلة لا تُعتبَر المرأة وكأنه قيمتها، ثم كلمة (أجر) هي لا تعني: استئجاراً من الاستئجار الذي يعني ماذا؟ مثلما تأتي بشخص يعمل لك عملاً تعطيه أجره، كلمة أجر تعني: الشيء المقابل، شيء مقابل شيء، أليس الله يذكر أجراً فيما يتعلق بالأعمال الصالحة عليها أجر يسميه؟ ليست كلمة أجر تعني: الاستئجار، ثم هنا تعرف أنت كرجل وإن أعطيت مبلغاً قد ذكر هناك: ﴿وَآتَيتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾(النساء:٢٠) ولو مبلغاً كبيراً تتذكر أنت بأنك تستمتع بها ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾(النساء:٢٤) هي بهذا الشكل، أي: معناها مهر.

المهر يثبت عندما يحصل استمتاع وإلاّ فإذا حصل مهر مسمى ولم يحصل دخول ولا استمتاع فله حكم آخر، أليس له حكم آخر؟ ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾(البقرة:٢٣٧) أي: كاعتبار للمرأة قد سمَّيتَ لها شيئاً ربما تكون أنت قد عزفتَ عن الزواج بها لأيِّ اعتبار كان فالنصف اتركه لها أشبه شيء بالمتاع الذي ذكر ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة:٢٤١) هنا لزوم المهر، لزومه، يقدِّمه هنا بالشكل الكامل ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾(النساء:٢٤) أنه يُعتبَر فريضة وفريضة لماذا؟ لأنه يحصل دخول بالمرأة، يحصل استمتاع بالمرأة يُعتبَر ثابتاً ليس فيه شك إعطاؤها المهر، ولم يتحدث هنا عن نصف ولا شيء ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ المهر إذا كان قد سمَّى مهراً ولم يحصل دخول فعندما لا يحصل دخول بالمرأة ولا خلوة بالمرأة معناه ماذا؟ أنه لم يحصل استمتاع ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾(البقرة:٢٣٧).

الأصل أن نفس هذه الآية لا أعتقد أن فيها دلالة على موضوع: (المتعة) التي يتحدث عنها الإمامية نهائياً، أول شيء أن كلمة (استمتاع) وكلمة (استمتعتم) لا تعني: مصطلحاً تشريعياً، ليست مصطلحاً، هي كلمة عربية تعني: التمتع بالشيء، التمتع به، والإنسان مستمتع بزوجته دائماً، أليس كذلك؟ أي: في النكاح الثابت أليس يقال: إن الإنسان مستمتع بزوجته؟ لغة يسمى استمتاعاً بها مثلما تستمتع بأموالك تستمتع بأثاث بيتك ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾(آل عمران:١٩٧) كلمة (متاع) (استمتعتم) مفردة لغوية معناها هذه: الاستفادة التي تحصل من الشيء، هم قدَّموها وكأنها مصطلح شرعي جديد تساوي كلمة (نكاح)

(١) العِشَّارَة: تعني رقم الآية.

كمصطلح شرعي جديد، لكن لاحِظ أنه جاء بكلمة ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ بعد قوله: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(النساء:٢٥).

ثم لاحِظ فيما يتعلق بموضوع الفطرة أن الله قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا﴾(الروم:٣٠) يقولون حتى في مجتمع (الاثنا عشرية) المرأة بشكل عام ليس لديها قابلية للمتعة بهذه الطريقة، بل عندها قابلية أن تستقر، نكاح: زواج ثابت، تستقر؛ لهذا فالمتعة لا تمارس إلاّ في ماذا؟ نساء مُعيَّنات أمَّا التوجه الرئيسي لدى المرأة فهو النكاح الثابت؛ لأن المرأة تعرف بأن زهرة شبابها أن تحاول ماذا؟ أن تمكن نفسها للمستقبل، تحافظ على نفسها، تحافظ على تحصين نفسها، تحاول أن تتزوج وهي ما زالت في الفترة المقبول الزواج بها؛ لتستقر، زواج تستقر به حياتها باستمرار، هذا الشيء الذي المرأة مفطورة عليه، هي تريد بيتاً تستقر فيه، هي تعرف أن تبقى في بيت أهلها لا تكون مقبولة دائماً في بيت أهلها، لا تدري وتزوج إخوتها بنساء، ولا تدري وحصلت أسرة داخلها غير الأسرة، فتكون هي تريد أن تستقر، وأولاد، وبيت، وزوج تتعامل معه طول حياتها، هذا الشيء الذي هو ملموس يقولون: عند النساء هناك في إيران وفي العراق وفي لبنان وفي المجتمع الاثنا عشري نفسه لا تأتي المتعة إلاّ حالات أخرى.

والقضية هذه (المتعة) يتعصبون لها بشكل كبير، أصبحت لديهم وكأنها أصل من أصول الدِّين، لكن لو فرضنا بأن القضية على ما قالوا: أن عُمر قال: (متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أحرمهما وأعاقب عليهما: متعة النكاح ومتعة الحج) من يثبت لنا أنها كانت على عهد رسول الله؟ أليست ستكون سائدة؟ وهناك أرامل، وهناك مهاجرون، لكانت سائدة على الأقل، لو لم تكن مشتهرة اشتهار النكاح الثابت، لكانت معروفة، وليس فقط من لديه هذه لو كانت قضية معروفة، أليس الزيدية نفوسهم من الشيعة، أليسوا من الشيعة؟ هل نقول: إنهم ساروا وراء عُمر، أنهم حرَّموا المتعة لأجل عُمر، إذا فرضنا أن الآخرين فقط من أجل عُمر؟ لَمَا كان (الاثنا عشرية) فقط هم المنفردون بالقول بإباحة المتعة وتشريعها كنكاح، لاحِظ (حي على خير العمل) ألم يحذفها عُمر؟ هل تركها الزيدية لأن عُمر تركها؟ هل الزيدية مركّزون على عُمر، وعلى أن يسيروا وراء عُمر؟ لا.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيلاً عَظِيمًا﴾(النساء:٢٦، ٢٧) فهذا هو ميدان لمن يتبعون الشهوات لإمالة الناس عن سُنن الله، عمَّا سَنه الله لعباده سواءً من يحاول أن يمنع تعدد الزوجات، أليس هذا يؤدي إلى انتشار ظاهرة الخليلات والعشيقات والعشيقين، وأشياء من هذه؟ كما هي موجودة لديهم، إضافة إلى أشياء أخرى. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾(النساء:٢٨) هو يعلم بالإنسان يعلم بغرائزه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَينَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(النساء:٢٩) أليس نفس التعبير ﴿أَمْوَالَكُم﴾، ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ ليترسَّخ في ذهنية الناس أنهم عبارة عن نفس واحدة، عن أمة واحدة؟ لا يوجد انفصال، لا يَعتبِر كل واحدٍ نفسَه عالَماً وحده، أو المرأة تَعتبِر نفسها عالَماً وحدها والرجل عالَماً وحده.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾(النساء:٣٠) أنت تلحظ هنا أنه لا يوجد مكان للشفاعة لأهل الكبائر، أليس هو يذكر هنا قضية أكل الأموال بالباطل ويخاطب من؟ يخاطب المؤمنين أليس يخاطب المؤمنين في هذه؟ ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَينَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ و﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ﴾(النساء:٣٠، ٣١) وليس إن ترتكبوا كبائر ما تنهون عنه ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾(النساء:٣١) التي تحصل، اللمم، كما قال في آية أخرى: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾(النجم:٣٢) ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾(النساء:٣١) وهناك رتبوا: أن يدخلهم مدخلاً كريماً على ارتكاب الكبائر! عندما يقول لك: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ما معنى هذا؟ أليس معناه أن يشفع لهم بأن يدخلوا الجنة؟ أليس دخول الجنة يُعتبَر مدخلاً كريماً؟ رتبوه على ارتكاب ﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ﴾ وهذا ليس معقولاً، مخالفة صريحة للقرآن ﴿إِن تَجْتَنِبُوا﴾ وليس إن ترتكبوا ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾.

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لأنه يوجد تفاضل قائم بالنسبة للمال، وقد يكون ما حصل لكثير من الناس باعتبار كسبهم، فيكون كل واحد يتمنى ما لدى الآخر، أو يحاول أن يحصل على ما لدى الآخر

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾(النساء:٣٢) عندما ترى امرأة تُربي لها بقراً وغنماً ودجاجاً وأشياء من هذه، وجمَعت مالاً، الرجل كذلك يتاجر أو يزرع، جمَع مالاً، وأنت هناك تتمنى ما لدى هذا أو هذا باعتبار ماذا؟ أنه ليس لديك مثله! سواءً من جانب الرجل بالنسبة للمرأة، أو من جانب المرأة بالنسبة للرجل، أو داخل الذكر والأنثى، أي: رجال يتمنون شيئاً عند رجال، أو نساء يتمنين شيئاً عند نساء.

﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾(النساء:٣٢) لأنه هكذا في الغالب يكون ما يحصل عند الناس من تفاضل في الأموال معظمه يكون نتيجة كسب، معظمه كسب، أي: عمل لا يأتي الكسلان يتمنى ما لدى ذلك الذي يعمل والله قد فتح الباب ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ وكل واحد يعمل.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾(النساء:٣٣) هذه قد تكون فيما يتعلق بالمكاتَبين[1] عندما تعتق مملوكاً لك. ﴿وَآتُوهُم مِن مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾(النور:٣٣) هذا في آية أخرى فيما يتعلق بالمكاتَبين، كذلك في موضوع حلف قائم: ﴿عَقَدَتْ أَيمَانُكُمْ﴾ حلف قائم وعادة ما تكون الأحلاف يكون هناك علاقة بالجانبِ المالي، أي: التزامات مالية، يوفي بهذه، يوفي بالالتزامات المالية؛ لأن الأحلاف عادة قد تكون متعلقة أيضاً بالجوانب المالية.

﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا﴾(النساء:٣٣) هم كانوا في مرحلة بداية الإسلام وقضية الأحلاف والتحالفات عند العرب قضية معروفة وسائدة، هي كانت قائمة من قبل الإسلام وحتى بعد الإسلام حصل تحالف، التحالف عادة يحصل فيه التزامات مالية ونفسية، أي: موقف، لاحظوا كيف الناس عندما يعملون (قاعدة) أليس من الضروري أن يلحظوا الجانب المالي؟ يقولون: (على أن ريالهم واحد، وغُرْمهم واحد) وعبارات من هذه.

أي: ليس الموضوع كله فقط موضوع مواريث، بل الموضوع موضوع مال هنا أمامك في (سورة النساء) موضوع مال، ذكر مواريث، وذكر تجارة، وذكر أيضاً ألاّ يحصل تمني من بعض لِمَا فضل الله بعضكم على بعض، التزامات مالية أخرى بالنسبة للمكاتَبين عندما تُعتِق مملوكاً لك ﴿وَآتُوهُم مِن مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ لا تعتقه وتتركه هكذا، بل أعطه شيئاً يقوم بحياته حتى يرتب أوضاعه، التزامات مالية أخرى مبنية على عقود، وعقود قائمة في أشياء هي حق وأشياء صحيحة يكون هناك وفاء بها. ﴿مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ لأن العبد يكون ضمن الأشياء المملوكات.

﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا﴾ هذه يعتبرونها منسوخة على أساس موضوع ميراث. تجد السياق ليس كله ميراثاً فقط، جاء حديث عن المال فيما يتعلق بالميراث فيما يتعلق بالمهور، المهور عندما تدفع، فيما يتعلق بالطلاق ألاّ تأخذ مالاً وقد ﴿آتَيتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ أليست هذه فيها أشياء كثيرة فيما يتعلق بالجانب المالي؟ أي: الموضوع هنا هو موضوع المال ليس الكلام كله ميراثاً، ميراثاً، هل المهر له علاقة بالميراث؟

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾(النساء:٣٤) لاحِظ العبارات هنا عبارات حكيمة فعلاً ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ لا يتناول هذه القضية باعتبار أن يترسَّخ في الذهنية موضوع جنس، جنس أفضل من جنس، ليس بهذا الشكل، أي: لا تأتي العبارة بالشكل الذي يرسِّخ في الذهنية هذا الشيء: جنس أفضل من جنس أو عالَم أفضل من عالَم، ليست بهذا الشكل، إنه هنا فيما يتعلق بقضايا ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ﴾(النساء:٣٤) ألم يذكر هنا الالتزامات المالية؟ عندما يقول هناك: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَينِ﴾(النساء:١١) يكون هناك التزامات مالية بالنسبة للرجل، قال في آية أخرى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ﴾(البقرة:٢٢٨) من حيث التكوين، لكن لا يترسَّخ في الذهنية: أن المرأة ترى نفسها عالَماً هناك، والرجل عالَماً هناك، الرجال لهم درجة على النساء لكن ترى أنه منوط بهم مهام ومسؤوليات، والمرأة منوط بها مهام ومسؤوليات، وكلها في إطار المهمة الواحدة والمسؤولية الواحدة.

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ خاضعات للأشياء التي هي من جهة الله سبحانه وتعالى، قابلات، مطيعات، خاضعات لله خاشعات، إذاً فالمرأة التي تحاول أن تتنكر وكأن الإسلام هضمها وأشياء من هذه لا تُعتبَر قانتة، أول شيء هي فاهمة خطأ، فاهمة للموضوع من أساسه خطأ، متأثرة بدعاية الآخرين، الأعداء، فيما بين الرجل والمرأة يجب أن تكون هكذا: ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ تحفظ زوجها تحفظ عرضه وماله.

﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيهِنَّ

(١) الْمُكاتَب: هو العبد المملوك الذي يطلب منه سيده أن يسعى في جمع مبلغ من المال ليعتقه.

﴿سَبِيلاً﴾(النساء:٣٤) هذه القضية فيما يتعلق بتأديب المرأة ليست جديدة، أليس هناك مشروع أشياء كثيرة تأديبية للرجل نفسه؟ هناك تأديب للرجل في مقامات كثيرة، لا يُقال بأنها قضية تختص بالمرأة وكأنه فقط المرأة أن يضربها، فعندما يأتي بهذا بعدما ذكر وسيذكر في آيات أخرى كيف يجب أن يكون التعامل ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(النساء:١٩) ولأن بعض النساء – كما يقولون في إحصائيات – بعض النساء فعلاً تكون في وضعية قلقة هكذا، وقد تكون ليس لديها مثلاً عندما تحاول أن تنشز ليس مبنياً على قرار صحيح لديها، ليس هناك معاشرة سيئة، وليس لديها كراهية للزوج حقيقية، إنما قد يكون تأثراً بكلام شياطين – مثلاً – أو أشياء من هذه، فربما قد يكون للضرب – ضرب تأديب وليس ضرباً شديداً – قد يكون له أثر، ثم يأتي في مرحلة أخيرة ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبِيلاً﴾ أطعنكم في الشيء الذي عليهن كحق عليهن في موضوع المعاشرة، أي: الحقوق التي تترتب عليها باعتبار المعاشرة القائمة بالمعروف فيما بين الزوجين، كان أبرزها هنا فيما يتعلق بجانب نفسها، ليس المعنى أنها إذا لم ترضَ أن تربي لك بقرة أو تربي لك ثوراً أو شيئاً فتضربها، لا.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبِيلاً﴾ تبحث عن أي طريقة ثغرة لتعتدي عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء:٣٤) فإذا كان الإنسان يرى نفسه ويبدو أنه قاهر بالنسبة لزوجته فلْيعرفْ أن الله أعلى منه وأكبر منه. موضوع الضرب هنا ممكن أن يقوم به الزوج مثلاً، ممكن أن يقوم به أحد الأولياء ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ لكن عندما تكون القضية لاعتبارات صحيحة، لا يكون نشوزها لأنها كارهة له – فعلاً – وفيه ما يجعلها تكرهه، أو لأنه يظلمها أو لأيِّ اعتبارات قد تكون صحيحة إنما فقط يغصبها غصباً، يلاحِظ الرجل نفسه هو، أليس قد يطلق المرأة إذا قد كرهها؟ قد يطلقها.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَينِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَينَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(النساء:٣٥) حث على الإصلاح عندما يحصل شقاق بين الزوجين ﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾(النساء:٣٦) (الجار ذي القربى) يقولون: الجار الذي بينك وبينه قرابة في النسب. (الجار الجنب) هو الذي ليس بينك وبينه قرابة لكنه جار قريب باعتبار سكنكم باعتبار مقامكم، (والصاحب بالجنب) عندما يكونون مصطحبين في سفر، هذه حقوق، حقوق تراعى بين الناس، الجيران في المقدمة، الجيران من قرابة واحدة، أو جيران حتى لو لم يكونوا من قرابة، أو أصحاب في سفر، وابن السبيل ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾ تشمل الموالي الإماء وتشمل كثيراً مما يملك الإنسان من الحيوانات.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾(النساء:٣٦) قد يكون الخيلاء والافتخار مما يدفع بالإنسان إلى ألاّ يراعي حقوق جار ولا حقوق مسافر ولا ابن سبيل.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾(النساء:٣٧) فعندما نأتي إلى هذه الحقوق فستظهر حقوق مالية وبذل معروف، وبذل المعروف قد يتناول أيضاً بذل مال، فالبخل قد يجعل الإنسان بعيداً عن مراعاة حقوق الجار سواءً من قرابة أو قريب باعتبار السكن، ومراعاة المعروف مع الصاحب في السفر ومع ما ملكت أيمانكم، أي: البخل نفسه هو من الكبائر التي تجر إلى كبائر، أو تجعل الإنسان بعيداً عن الالتزام بتوجيهات هامة جداً.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾(النساء:٣٧) لاحِظ كيف للمال أدوار هامة جداً، ويترتب عليه حقوق كثيرة وقضايا كثيرة ترتبط به ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾(النساء:٣٦) هذه فئات كثيرة وظاهرة في المجتمع، والشيء الطبيعي أنه فيما يتعلق بالإحسان وبذل المعروف يرجع للجانب المالي، فالبخل قد يجعلك بعيداً عن أن تعمل بهذه التوجيهات التي تتناول فئات متعددة ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ حتى لا أحد ينقد عليه ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَومِ الآخِرِ﴾ يدور الموضوع كله بشكل عام حول موضوع مال، أخَذ مساحة كبيرة في هذه السورة ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَومِ الآخِرِ﴾ فالبخل يُعتبَر جريمة، وكذلك الرياء، الإنفاق رياء ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾(النساء:٣٨) نعوذ بالله؛ لأن الشيطان قد يدفعك فيما يتعلق بالمال أن تبخل في المقام الصحيح، وأن ترائي في مقام آخر، تنفق رياءً أو تبخل.

﴿وَمَاذَا عَلَيهِمْ لَو آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ في الأخير عندما يقول للناس أن ينفقوا يقول: مما رزقهم هو ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا * إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾(النساء:٣٩،٤٠) لا تعتقد بأنه ظلمك، أمرك أن تعطي من مالك لليتامى والمساكين والجار ذي القربى، وأن تعطي المرأة ميراثها أن تعطيها مهرها، فتعتبر أنه قد ظلمك، إنه كله له ﴿مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ لا يُعتبَر ظلماً، بل هذا قسط، هذا عدل، وله آثاره الهامة باعتبار حياة الناس، وكل واحد يحتاج، لا يستطيع أحد أن يضمن نفسيته أنه على وضعية قد لا يكون في يوم من الأيام كأيِّ فئة من هذه الفئات الأخرى، بل ممكن أن تكون ابن سبيل، ممكن أن تكون جاراً لآخرين، لا يتصور أحد أن وضعيته ستبقى على ما هي عليه، لو تحصل أوضاع وأصبح الناس يخافون واحتاج أحد إلى أن ينتقل إلى مكان آخر، ألم يصبح جاراً عند آخرين؟ أصبح بحاجة إلى حقوق قائمة، قد يسافر ويصبح ابن سبيل، قد يصحب أحداً، وهكذا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا * فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا﴾(النساء:٤٠،٤١) لأن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لمعرفته بدين الله وعظمته وحكمة هذا التشريع، وشمول هدايته، يُعتبَر شاهداً؛ لأنه وهو نفسه يُقدِّم هذه الأشياء للناس يُقدِّمها بأهمية ويعرف أهميتها، أي: يلمسون من خلال تعامله مع هذه القضايا وتقديمها أنها أشياء ذات أهمية لديه، هم يعرفونه شخصياً أنه إنسان حكيم، وإنسان رزين، وإنسان ذكي وفاهم، وإنسان متكامل، أن يظهر شيء ذو أهمية عند إنسان هو على هذا النحو هو يشهد فعلاً بأهمية ذلك الشيء.

فهو شاهد في الحياة وشاهد في الآخرة أنه قد بلَّغ، وبلَّغ على أكمل وجه، وأعطى لكل القضايا أهميتها هو لا يبلِّغ الأشياء ببرودة؛ لأنك أحياناً قد تُميت موضوعاً هاماً بأسلوبك، ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يختاره الله ليكون نبياً ليست متوقفة على أنه فقط سيَصدُق، بمعنى ماذا؟ بمعنى أنه لا يكذب على الله، لا، القضية أوسع من هذا بكثير، هناك صادقون غيره كثير، أليس هناك صادقون؟ وأوصى الناس أن يكونوا صادقين، وأوجب على الناس أن يكونوا صادقين؟ لكن، لا. القضية أوسع من هذا، هو يعرف دين الله، ويعرف كيف يقدِّمه، ويعرف أهميته، يعرف كيف يتعامل مع الناس في تقديم هذا الدِّين، يعرف عظمته بشكل قد لا يصل إليه ذهن أيِّ واحد منا في معرفة عظمة دين الله.

﴿فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا * يَومَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَو تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾(النساء:٤١،٤٢) أنه لو أمكن أن يفتدي بالأرض أو أن يكونوا هم والأرض سواءً أن يبقى تراباً يبقى كشيء من الأرض، في قراءة: (لو تَسَّوَّى).

﴿لَو تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ بمعنى أنه عندما لا يكون هناك استجابة لله واستجابة لرسوله والذي قدَّم دينه على أكمل وجه وأبلغ بيان وأوضح صورة، أنه لم يعد وراءه إلاّ ماذا؟ خسارة وندم وحسرة كبيرة، يتمنى العاصي للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه لو يملك الأرض كلها أن الأرض له ويمكن أن تُقبَل ليفتدي بها من عذاب جهنم، أو يتمنى أنه لم يُبعث على الإطلاق وأنه بقي من ضمن الأرض.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ